القراءات القرآنية
فى ضوء علم المعاني
دراسة فى دلالة الأسلوب القرآني

الدكتور

أحمد عبد المرضى سيد أحمد سيدأحمد

المدرس بقسم القراءات

كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها

جامعة الأزهر

مقدمة

أحمد الله رب العالمين ، وأصلي وأسلم علي سيد البلغاء والفصحاء وإمام المرسلين،من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ،صاحب المعجزة الدائمة الأبدية، والمفاخر العلية ، وعلي آله وأصحابه الكرام البررة ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين .....

أما بعد

فإن دراسة أسلوب القرأن الكريم ودلالاته من خلال ماورد في القراءات القرآنية المتواترة يعد من القضايا التى تشغل كل مهتم بوجوه إعجازالقرأن الكريم، لأنها خالدة ترسل إشعاعها الدائم ، باقية على جلالها ، والدرس البلاغي القرآني من أقدم الدروس التى شغلت فكر البلاغيين قديماً ، ثم هو جديد ، لا ينتهى عند أمد أو غاية ، ويرجع هذا إلى طبيعة القرآن ذاته أسلوباً ومعنى ، وطبيعة إعجازه وبيانه .

والقراءات المتواترة أبعاض القرآن وهى بما تتضمنه من وجوه لا تقل إعجازاً عن القرآن الكريم .

ومن االثابت أن العلم بالقراءات القرآنية عموماً والمتواترة – موضوع البحث – خصوصاً أصل فى العلم بكل معلوم ، وذلك أنها تفتح مجالات واسعة للبحث فى شتى العلوم والمعارف .

فالمفسر لا غني له عنها : حيث إن تعدد القراءات يكسب التفسير خصوبة وعمقاً وثمة شروط ينبغى توافرها فى المفسر لكي تعينه علي فهم مقاصد الآيات القرآنية من ذلك أن يكون عالماً بالبلاغة والقراءات .

والفقيه هو الآخر لا غنى له عن القراءات : حيث إن بعض القراءات قد تبين ما لعله يجهل فى القراءة الأخرى ،. [1]وكذاعالم اللغة لا غنى له

(١) الإتقان فى علوم القرآن ١ / ٢٥٥ ، ويراجع جامع البيان ٤ / ٤٨٢ . ٤٨٥ ، والكشف ١ / ٢٩٣ – ٢٩٤

عن القراءات ، بما تعكسه مستويات اللغة ونظمها فالخلاف الصوتي وإن كان لا يترتب عليه تغير فى المعنى ، إلا أنه يفتح الباب لعطاء لا ينفذ فى الأصوات واللغات واللهجات .

وأيضاً فإن البحث فى تغاير القراءات كفيل لعالم البلاغة باكتشاف كنوز لا تنتهي فى كل ما يتعلق بعلوم البلاغة: المعانى والبيان والبديع ؛ فضلا عن البحث فى معانى القراءات المتواترة ، وتلمس الأوجه البلاغية المترتبة على تغايرها واختلافها ، حتى جعلها ابن الجزري والسيوطي وجهاً من وجوه الإعجاز البلاغي فى القرآن الكريم .

هذا ومن المعلوم أن : من محاسن إعجاز القرآن تنوع المعانى بتنوع القراءات فتكون كل قراءة بمثابة آية فى المعنى الذى دلت عليه . (١)

فمن فوائد اختلاف القراءات :ما فى ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار وجمال الإيجاز إذ كل قراءة بمنزلة الآية إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ،ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان فى ذلك من التطويل .(٢)

وعدوه كذلك وجهاً فريداً من وجوه الإعجاز العديدة ، وذلك بإفادة القراءة لمعنى غير معنى القراءة الأخرى كما قال السيوطي : وذلك من وجوه إعجاز القرآن (٣)، أو كما قال ابن عاشور فى تحريره : وقد تكثر المعانى بإنزال لفظ الآية على وجهين أو أكثر تكثيراً للمعانى مع إيجاز اللفظ وهذا من وجوه الإعجاز . (٤)

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقع فى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة كالتالي :

---

(١)شرح البخاري ٣ / ٢٠١

(٢)النشر ٥٢/١

(٣)الإتقان ٢ / ١٨٦ .

(٤)التحرير والتنوير ١ / ٨٣ .

فالمقدمة فى: أهمية الموضوع ومنهج البحث فيه وخطته ،

والتمهيد فى : بيان العلاقة بين القراءات وبلاغة القرآن الكريم .

والمبحث الأول : بعنوان بلاغة الكلمة فى القراءات المتواترة . وفيه مطلبان:-

المطلب الأول : التعريف والتنكير .

المطلب الثاني : خروج الكلمة على مقتضى الظاهر (العدول .)

المبحث الثاني : بلاغة الجملة فى القراءات المتواترة . وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : التقديم والتأخير

المطلب الثاني : تغاير الأسلوب بين الخبر والإنشاء وأثره فى تنوع المعنى.

المطلب الثالث : الحذف والذكر.

المطلب الرابع : الإطناب وصوره وأثر ذلك فى المعنى وفيه :

١- زيادة بعض حروف المعانى .

٢- التكرار .

٣- ذكر الخاص بعد العام .

المبحث الثالث: بلاغة الجمل فى القراءات المتواترة وفيه مطلبان:

المطلب الأول : الالتفات .

المطلب الثاني : تغاير القراءات وعلاقات الربط وتأثير الجوار . أو(الفصل والوصل) وعلاقته بالوقف والابتداء وفيه :

أ) تنوع الروابط المعنوية .

ب) الربط الظاهر بالواوبين المفردات فى التركيب .

ج) الربط الظاهر بالواو بين الجمل .

د) تنوع الربط بين اللفظى والمعنوي .

الخاتمة وفيها نتائج البحث و توصياته ثم فهارس متنوعة .

والله من وراء القصد ، ومنه يستمد العون .عليه توكلت وعليه فليتوكل المؤمنون .

تمهيد

العلاقة بين القراءات وبلاغة القرآن الكريم

بدأ البحث البلاغي مبكراً مع بدايات الحركة العلمية ، وشارك فيه العلماء على اختلاف توجهاتهم من لغويين ، ومفسرين ، وفقهاء حتى بنيت قواعده ، وأحكمت أصوله ،وتشعبت مباحثه ، بغية الكشف عن أسرار النظم القرآني ، وبيان دلائل إعجازه ومن ثم ظهرت مصطلحات مثل الفصاحة ، والبلاغة والتى تقع كل منهما صفة لمعنيين .

أولهما : الكلام . تقول : هذا كلام فصيح ، أو بليغ .

وثانيهما : المتكلم : تقول : هذا خطيب فصيح ، أو بليغ وفصاحة الكلمة تعنى خلوصها من تنافر الحروف ، والغرابة ، ومخالفة القياس اللغوي .

وفصاحة المتكلم : ملكة يقتدر بها على المقصود بلفظ فصيح أو بليغ وفصاحة الكلام : مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته .

وسر البلاغة فيه يكمن فيما يحترز به عن الخطأ وأعنى به (علم المعانى) وهو ذلك العلم الذى يعرف به أحوال اللفظ العربي الذى يطابق مقتضى الحال ، أو هو تتبع خواص تراكيب الكلام فى الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ فى تطبيق الكلام علي مقتضى الحال [١]

ويعد الدرس البلاغي القرآني من أقدم الدروس التى شغلت فكر البلاغيين قديماً بدراساتهم حول إعجاز القرآن الكريم ، وكان مما تناولوه علاقة البلاغة بالقرآن الكريم وقراءاته ، ومن الثابت أن العلم بالقراءات أصل

(١)بتصرف من : قاموس قواعد البلاغة وأصول النقد والتذوق ، إعداد مسعد الهواري / ٣ ، وما بعدها ، حول الإعجاز البلاغي للقرآن قضايا ومباحث د/ حسن طبل / ٨٢ وما بعدها ، البلاغة العربية تاريخها ومصادرها ، ومناهجها ، د. على عشرى زايد / ١١ وما بعدها .

في العلم بكل معلوم ذلك أنها تفتح مجالات واسعة للبحث فى شتى العلوم والمعارف ، فالمفسر لا غنى له عنها حيث إن تعدد القراءات يكسب التفسير خصوبة وعمقاً واشترط فى المفسر أن يكون عالماً بالبلاغة والقراءات وكذا الفقيه، واللغوي وغيرهما .

وعليه فإن البحث فى تغاير القراءات وتنوعها كفيل للبلاغيين باكتشاف وجوه إعجازية متغايرة ولذا وجدنا فى كتبهم أسرار بلاغية ونكات لمجئ الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، بتذكير المؤنث ، وتأنيث المذكر وغيره من المباحث البلاغية حتى ذكر ذلك القراء وعدوه من محاسن البلاغيين .

ففى النشر : (من فائدة اختلاف القراءات وتنوعها بما فى ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار وجمال الايجاز إذ كل قراءة بمنزلة الآية إذا كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات ولو جعلت دلالة كل لفظ آية علي حدتها لم يخف ما كان في ذلك من تطويل.)(١)

هذا وتتأكد العلاقة بين القراءات والبلاغة بأن فى القراءات المتواترة الحاملة للمعانى العديدة فى الجملة نظير التضمين فى استعمال العرب ، ونظير التورية والتوجيه فى البديع ، ونظير مستتبعات التراكيب فى علم المعانى .... إلخ من الأمور والقضايا .

وتقوم الدراسة – هنا –علي أساس استجلاء بلاغة الكلمة ، وبلاغة الجملة ، ثم بلاغة الجمل وذلك بعرض ماجاء في القراءات الصحيحة المتواترة وأمكن دراسة أسلوبه ودلالاته في ضوء معطيات علم المعاني وصولا إلي بيان وجوه إعجاز القرأن الكريم ليتحقق بذلك سر قوله تعالي (قل لئن اجتمعت الإنس والجن علي أن يأتوا بمثل هذا القرأن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا).

المبحث الأول : بلاغة الكلمة في القراءات المتواترة:

تمهيد :

مما لا شك فيه أن كل مفردة وضعت وضعًا فنياً مقصوداً في مكانها المناسب ، وأن الحذف من المفردة مقصود ، كما أن الذكر مقصود ، وأن الإبدال مقصود ، كما أن الأصل مقصود ، بل كل تغيير في المفردة أو إقرار على الأصل مقصود له غرضه ، كما سنبين ذلك في القراءات المتواترة ما وسعنا البيان .

ومن المعروف أن الصيغ تتعدد أو تشترك فى الدلالة على المعنى الواحد مما يمكن أن يكون مفتاحاً لفهم عملية الاختيار فى الصيغ أو الأشباه والنظائر المتعددة والتي تشترك فيما بينها فى التعبير عن المعنى الواحد بطريقة متقاربة ينبغي أن نكون على وعي بأن ثمة مستويين متمايزين أساسيين للكلام فى عرف علماء البلاغة قديما وحديثاً وهما :

الأول : ما يمثل الحد الأدنى لبلاغة الكلام ، وهو ما تحقق فيه لزوم الجادة ، وكان موافقاً للصواب ، موسوماً بالصحة اللغوية ، ويعد الوقوف عند هذا الحد – حد الإفهام – أدنى مراتب البلاغة .

الثاني : ما اتصف بالصحة اللغوية ، وزاد على ذلك بحسن التخير للفظ توخياً للمطابقة ، وهذا المستوى هو ما يتنافس فيه المتكلمون بغية التدرج فى سلم الفصاحة والبلاغة ودرج البيان .

والبلاغة كما قررها الطيبى لها طرفان : الإعجاز وحاكمه الذوق ، وما خرج عن النعيق ، وبينهما مراتب لا تكاد تنحصر . (١)

هذا والتمايز بين المستويين السابقين للكلام بات مستقرًا فى الدراسات اللغوية ، ولعل عبارة الجاحظ الشهيرة : (المعانى مطروحة فى الطريق

(١) في :التبيان فى المعانى والبيان / ١٤٥.

يعرفها العجمى والعربى ، والبدوي والقروى ، وإنما الشأن فى إقامة الوزن ، وتخير اللفظ وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفى صحة الطبع وجودة السبك ...) [١] مع وجازتها تعد أول إشارة إلى التفريق بين مستويين من المعانى هما :

أولاً: المعانى النمطية ، وهى التي عبر عنها الجاحظ بأنها مطروحة فى الطريق ، وهى بإيجاز تلك المعانى التى تأتى وليدة الصياغة النمطية التى يوقف بها عند دائرة الصواب.

ثانياً: المعانى الفنية ، وهى التى تأتى وليدة تخير اللفظ ،وسهولة المخرج ...

والعلاقة بين المستويين السابقين هى أقرب شيء للعلاقة بين اللغة والكلام ، والذى يعنينا هنا ليس الوقوف على حد الصحة اللغوية فهذا ليس هو غاية البلاغة وإنما يعنينا ما ينعكس عن ذلك من صواب فى الكلام والمعانى وهذا ما عناه عبد القاهر حين فرق بين نوعين من هذا الصواب : [٢]

الأول : ما يمكن أن نصطلح عليه بالصواب النمطى أو الصواب النحوي .

الثانى : وهو ما حقق ذلك الصواب وزاد عليه بحسن الصياغة = المستوى الفنى البلاغى والثانى هو الجدير بأن يستدرك فى نظر عبد القاهر بل فى نظر البلاغيين قاطبة ، وما يتخلف عن النوعين السابقين يمكن أن يطلق عليه : المستوى المرفوض أو الخطأ .

(١)الحيوان للجاحظ ٣ / ٣١ .

(٢) ينظر دلائل الإعجاز / ٩٨ ، ويراجع الإعجاز الصرفى فى القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة د. عبد الحميد هنداوى / ٧١ . ٧٢ .

هذا وتنحصر وظيفة البلاغة عموماً وبلاغة الكلمة خصوصاً فى التعبير عن المعانى الدقيقة التى يبلغ بها صاحبها كنه ما فى نفسه ويبلغ بها مراده إلى غايته، أو هى بإيجاز : بلوغ الرجل بعبارته كنه ما فى قلبه [١]، وذلك بطريقة فنية تعمق حسن الاختيار ، من إيجاز لفظ وحسن نسق ، وتأنق فى الصياغة ،وروعة فى التصوير إلى غير ذلك مما يكسب الكلام حسناً ورونقاً ، ويحاول البحث هنا أن يكشف عن الأسس الفنية التى يقوم عليها التوظيف البلاغي للكلمة مستلهماً فى ذلك روح التراث البلاغي مع الإفادة بما أمكننا الوقوف عليه من الدراسات الأسلوبية الحديثة .

وموضوع المفردة فى القرآن أو بلاغة الكلمة فى القرآن الكريم وقراءاته المتواترة موضوع واسع متشعب الأطراف متعدد المناحي ، لذا آثرت أن أبحث باختصار أمورًا أراها ذات أهمية خاصة فيما أحسب ، وإن كان التعبير القرآني كله مهماً ، لذا يقوم البحث هنا بعرض عدد من النماذج التى تم توظيف الصيغ فيها توظيفاً بلاغياً على أساس الاختيار ، وذلك بغية رسم ملامح بلاغة الكلمة فى القراءات المتواترة ، و الوقوف على الدلالات الفنية لتلك الصيغ فى سياقاتها الرفيعة القرآنية ، مراعيا فى تحليلها أقوال البلاغين فى مباحث البلاغة النظرية وتحليلات المفسرين وعلماء التوجيه فى مؤلفاتهم ويمكن عرض هذه النماذج فى الأبواب البلاغية الآتية:

المطلب الأول : التعريف والتنكير :

التعريف والتنكير ظاهرتان متقابلتان من الظواهر التعبيرية التى يهتم ببحثها علم المعانى ، وذلك لما يتعلق بهما فى الأسلوب الفني من دلالات وأسرار بلاغية ، وهاتان الظاهرتان من خصائص الأسماء ، وقد تكفل علم النحو بتحديد كل منهما ، فالاسم النكرة هو ما دل على شيء غير معين أو

(١)نهاية الإيجاز / ٨٩ .

معهود بين المتكلم والمخاطب ، بل يدخلها ما يصيرها إلى معرفة؛ كأن يلحقها "أل" التعريفية، أو تضاف إلى معرفة ، وذلك جعلها اللغويون أخف من المعرفة وأصلاً لها (١)

والمعرفة هى ما دلت على معين ومعهود ، إما بذاتها كالعلم ، وإما بغيرها كالضمير والموصول والإشارة ، وإما بغير ذلك مما ذكر فى تعريف النكرة. (٢)

وقد أطال البلاغيون القول فى هذا فتناولوا نماذج لتنكير المسند إليه ، وأخرى لتنكير المسند ، وثالثة للتنكير فى مكملات الجملة ، ثم تناولوا التعريف بطرائقه الست . الضمير والعلم وأسماء الإشارة ، وأسماء الموصول ، والمعرف بأل ، والمعرف بالإضافة . فى كل تلك الأجزاء ، وقد كان وراء تلك الإطالة – فيما يبدو – محاولة البلاغيين استيفاء التصنيف النحوي السابق ، الأمر الذى كان له أثره فى صبغ دراستهم لهذا المبحث بصبغة نحوية. (٣)

ونحن بذلك لا نقلل من قيمة هذا المبحث من مباحث البلاغة ، فالتعريف والتنكير كما ذكرنا ظاهرتان من الظواهر المهمة فى الأسلوب الفنى ، ولكن نود أن نشير إلى أن دراسة البلاغيين لهما كان ينبغى أن تقتصر – فحسب – على رصد هذا الإشعاع الدلالي الفنى لهما عن طريق تأمل كل منهما فى نماذجه الفنية فى ضوء سياقاتها الخاصة.

ويتفق البحث مع ما قرره البلاغيون من أن لإيثار أحدهما على الآخر مقاما يقتضيه ، ووجها بلاغيا يناسبه ، تبعاً للسياق الذى يستدعيه – مقبولاً فى النصوص التى اتحدت قراءاتها على وجه واحد ، فإنه غير مقطوع به فى الآيات القرآنية التى تغايرت أوجه قراءاتها ، واختلفت فى التنكير والتعريف ،

(١)ينظر : الكتاب ١ / ٢٢ ، ٥١٢ ، ونتائج الفكر فى النحو/ ٢١٦ .
(٢)ينظر : علم المعانى فى الموروث البلاغي ، تأصيل وتقييم / ١٦٥ . ١٦٦ .
(٣)الإيضاح / ٤١ .

ومن ثم جاء تناول العلماء لتلك الظاهرة مختلفاً بعض الاختلاف عن تناول البلاغيين ، إذ أدركوا أنهم يحللون آيات تعددت أوجه قراءتها ، ولا يستطيعون المفاضلة بين تلك الأوجه ، –ولا سيما إذا كانت القراءتان متواترتين ، –أو القول بأبلغية إحداهما على الأخرى .

ولا ضير بعد ذلك على النص القرآني المعجز من أن تتعدد وجوهه البلاغية أو حتى تختلف تبعاً لاختلاف نظرتهم فى توجيه القراءة داخل سياقها وتذوقهم لبلاغتها لا فى سياق الآية وحدها ، بل فى نظائرها التى ترددت فى الذكر الحكيم ، إذا أصبح ذلك التعدد أو التغاير فى نظرهم دليلاً آخر يضاف إلى دلائل إعجازه التى لا تتوفر فى غيره من النصوص.

ولنقف الآن مع بعض النماذج التى تكشف عن قيمة كل من هاتين الظاهرتين فى الأساليب الفنية والقراءات المتواترة

- من صورالتغاير المعنوي بين وجهي التعريف والتنكير ، فقد يوحى التنكير فى سياقه بمعنى التكثير وتفاوت المنزلة وذلك فى تنوين "درجات من نشاء" فى موضعيها الآتيين:

قال تعالى "وتلك حجتنا ءاتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم" (١)

وقال تعالى : " .... ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء ..." (٢)،قرأ الكوفيون ويعقوب درجات بالتنوين،وقرأ الباقون بغير تنوين (٣):

يرى الإمام الرازى (ت ٦٠٦ هـ) أن قراءة التنكير – التنوين –معناها : نرفع من نشاء درجات كثيرة ، واستدل على الفرق بين الوجهين بما نقله عن

(١) الأنعام / ٨٣ .
(٢)يوسف / ٧٦ .،
(٣)السبعة٢٦١/٢٦٢،التجريد٣١٧،النشر٢/٢٦٠.

ابن مقسم (ت ١٣٣ هـ) من أن : هذه القراءة أدل على تفضيل بعضهم على بعض فى المنزلة والرفعة ، وبما نقله عن أبى عمرو ابن العلاء (ت ١٥٤ هـ) من أن : الإضافة تدل على الدرجة الواحدة وعلى الدرجات الكثيرة، والتنوين لا يدل إلا على الدرجات الكثيرة [١]

ويبدو أن هذا الوجه كان وراء اختيار الرازى للإضافة ، لأنها جمعت بين المعنيين أو أوحت بهما والتساؤل هنا : ما الذى يقصده أبو عمرو بالدرجة الواحدة التى تدل عليها الإضافة فى نظره ، إذ الدرجات على كل حال جمع دال بصيغته على الكثرة .

وعلى أية حال فإن جل الموجهين للقراءات التى بين أيدينا لا يذهبون المذهب السابق فى التفريق بين القراءتين ومعنييهما ، لأن من رفعت درجاته فقد رفع ، ومن رفع فقد رفعت درجاته [٢]ولذلك صلته – فيما يبدو – بالتعبير الكنائى ؛ إذ كني عن رفعة الإنسان ذاته برفع درجته . والقراءتان متقاربتان في المعني التفسيرى أو متداخلتان ،وإن كانتا متباينتين من الوجهة التركيبية.

- اختلف الموجهون فى توجيه قراءتي "فزع" بالتنوين وبالتنكير، وتعريفه بالإضافة وذكروا أن التنكير والتعريف فيها قد أدى إلى تعدد وجوههما البلاغية التى استدعاها استقراؤهم لأحوال الكلمة داخل سياقها القرآني واعتبار قرائن الأحوال المحيطة بها وذلك فى قوله تعالى " من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ ءامنون" [٣] حيث قرأه الكوفيون بالتنوين وقرأه الباقون بغير التنوين.

(١)تفسير الرازى ١٣ / ٦٦ .
(٢)الكشف ١ ، ٤٣٧ ، وحجة القراءات / ٢٥٨ .
(٣)النمل / ٨٩ وينظر :السبعة /٤٨٧،النشر ٣٤٠/١.

اختار الفراء وابن جرير الطبري الإضافة : لأنه فزع معلوم ، وإذا كان ذلك كذلك كان معرفة ، على أن ذلك فى سياق قوله "ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله" (١)

أنه خبرٌ عن أمنة من كل أهوال ذلك اليوم منه إذا لم يضف ذلك ، وذلك أنه إذا لم يضف كان الأغلب عليه أنه جعل الأمان من فزع بعض أهواله (٢)

ولم يفت أبو زرعة أن يربط هو الآخر الإضافة بسياق قوله تعالى "لا يحزنهم الفزع الأكبر" (٣) فجعله معرفة ، فكأن تأويله: وهم من فزع يوم القيامة كله ءامنون ، ويرى أن حجة من نون : هى أن النكرة أعم من المعرفة ؛ لأن ذلك يقع على "فزع" وهو أعم وأكثر ؛ لأنك إذا قلت ، رأيت رجلاً وقع على كل رجل ، وكذا إذا قلت : رأيت غلاماً ، فإذا قلت رأيت غلامك ، حصرت الرؤية على شخص واحد (٤)

قال بعض النحوين . يبدو أنه أبو على الفارسي – يجوز إذا نون (أن يعنى به فزع واحد ويجوز) أن يعنى به كثرة ، لأنه مصدر والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردة ... والذى يظهر من خلال استقراء توجيه العلماء لوجه التنكير ها هنا أن سياق التنكير يستدعي معان متعددة فهو كما يرى المنتجب الهمذاني : للعموم والشيوع ، وذلك أنه لما أتى الفزع الأكبر ، دل ذلك على ضروب منه ، فنون ليعم جميع الفزع الأكبر والأوسط والأدون؛ لأن النكرة تعم .... (٥)، ويستدعى التعريف كذلك معنى العهدية التى دلت

(١)النمل / ٨٧

(٢)جامع البيان ١٦/٢٠-١٧ ، معانى القرآن للفراء ٢ / ٣٠١ ، وحجة القراءات / ٥٤٠ .

(٣)الأنبياء / ١٠٣ .

(٤)حجة القراءات ٥٤٠١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٥/١٣ .

(٥)الحجة لأبى على الفارسى ١٥ .

بدورها على التعظيم ، لكونه أعظم الأفزاع وأكبرها كأن ما عداه ليس بفزع بالنسبة إليه . (١)

وإما أنه – التنكير – كما يرى النسيابورى : إما للنوع ، وهو فزع نوع العقاب ، فإن فزع الهيبة والجلال يلحق كل مكلف ، وهو الذى أثبته فى قوله: ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض" ، وإما للتعظيم ، أى : من فزع شديد لا يكتنهه الواصف وهو خوف النار . (٢)

- أخيراً قد يفيد التعريف بالإضافة بيان المضاف وتوضيحه، وذلك معنى أوَّلى لا يفارقه حيثما وقع إيثار التعبير به ، يبدو ذلك فى توجيه قوله تعالى "إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب " (٣)على وجه الإضافة (عدم تنوين "بزينة" وخفض الكواكب) ،حيث قرأ عاصم وحمزة(بزينة) بالتنوين وخفض (الكواكب) وقرأ الباقون بالخفض وروي شعبة قراءة عاصم (الكواكب) بالنصب (٤)، ونتمم بالجوانب البلاغية والإشارات اللفظية من ذلك :

أن جمهرة من الموجهين ذهبوا إلى أن الإضافة بيانية لما أن الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به ، فتقع الكواكب بيانا لها . (٥)

ويظهر للباحث أن القراءة الأخرى (بالتنوين) تفيد ما تفيده قراءة الإضافة السابقة ، حيث يفيد البدل دائماً الإيضاح بعد الإيهام : فهو يفيد إذا البيان والتوكيد . (٦)

---

(١)ينظر : إرشاد العقل السليم ٤ / ٢٨٨ .

(٢)ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان بهامش الطبرى ٢٠/٢٠-٢١ ، ويراجع الكشاف ٣٨٨/٣ ، وإبراز المعانى / ٥١٦ ، والبحر المحيط ١٠٢/٧.

(٣)الصافات / ٦ .

(٤)التذكرة٥١٧/٢،العنوان ١٦١، النشر ٣٥٦/٢،التقريب١٦٦

(٥)ينظر : إرشاد العقل السليم ٥٢٧/٤ ، وحجة القراءات / ٦٠٤ ، والكشاف ٣٤/٤ – ٣٥ ، والبحر المحيط ٣٥٢/٧ .

(٦)ينظر البرهان ٤٥٣/٢ ، ومعترك الأقران ٣٥٤/١ ، والبلاغة العربية تأصيل وتجديد للدكتور الصاوى الجويني ٥٣ – ٥٤.

لأنه كما يقول النحاة على نية تكرار العامل [١]، أضف إلى ذلك أن إيهام الزينة وتنكيرها يضفى تحريك الذهن ثم تعظيم لأمرها.

المطلب الثاني: خروج الكلمة علي مقتضى الظاهر (العدول):

ثمة أساس آخر للتوظيف البلاغي لصيغة الكلمة نستطيع أن نلمح وقوف البلاغيين عليه واعتماده لديهم أساساً للكشف عن الدور البلاغي لصيغة الكلمة ، وهذا الأساس الثانى هو ما أطلق عليه فى تراثنا البلاغي مصطلح العدول ، فإذا كانت البلاغة ترجع فى سائر تعريفات البلاغيين إلى حسن تخير اللفظ ، فإن مما يجدر بنا التنبيه إليه أن هذا التخير أو الاختيار للفظ يمثل فى غالب الأحيان أنواعاً من العدول ، وقد يمثل هذا التخير نوعاً من العدول عن النظام اللغوي ، أو عن الاستخدام الشائع ، أو عدولاً داخلياً، وهو ما يسميه البعض بالعدول السياقي .

هذا وقد جرت عادات العرب فى نظم الكلام شعراً ونثراً : أن يأخذوا الكلام من كل مأخذ ويجتلبوا المعانى من كل مجتلب ، وأن يتلاعبوا بالكلام على وجوه من الصحة [٢]، فمزاوجة الأسلوب بين فن وآخر من فنون الكلام يدفع إلى الملل والسآمة عند السامع ، لأن الاستمرار على طريقة واحدة فى بناء النص قد لا يحسن فى كثير من المواضع ، وكلما كان الكلام مقتصرًا على فن واحد من الإبداعات وإن كان حسناً فى نفسه لم يحسن ، لأن ذلك مؤد إلى سآمة النفس ، فإن شيمتها الضجر مما يتردد والولع بما يتجدد . [٣]

والطريقة السابقة فى التنوع تسمى عند القدماء بالعدول أو التحول أو الاتساع ، وتسمى عند المحدثين فى الأسلوبية بالانحراف أو التجاوز أو الحيل التعبيرية .

---

(١)الكتاب ٣٨٦/٢ ، وشرح المفصل ٦٤/٣ – ٦٧ .

(٢)منهاج البلغاء وسراج الأدباء للقرطاجنى / ١٨٠ .

(٣)السابق / ٦١ .

هذا وقد جرد علماء العربية فى صياغة الكلام على ما يقتضيه ظاهر الحال من المطابقة والوضوح ، لتؤدى بذلك معانيها التى ترد عليها وضعاً واستعمالاً ، وربما كان هذا العدول عن ذلك الظاهر دونما عبث بما تستوجبه سنن المطابقة فى التعبير وأحكام الصنعة ، قصدًا منهم إلى إشارات لطيفة أو ملحظ دقيق ، حيث يكمن السر فى هذا العدول ، وإليه يكون المصير حين التفكير فيه ، للنفاذ إلى كنهه ومرماه . (١)

ويسلك هؤلاء العلماء فى سبيل ذلك العدول ضروباً وأفانين ، فيضعون المفرد موضع الجمع والعكس ، كما يعبرون بالمظهر عن المضمر ، ويضعون المضارع موضع الماضى والعكس ، وينزلون غير العاقل منزلة العاقل ، ويصرفون الخطاب عن جهته .... إلخ .

وفيما يأتى طائفة من القراءات المتواترة التى تعكس صور الخروج عن مقتضى الظاهر :

١ – وقوع المفرد موقع الجمع :

تعددت المواضع القرآنية التى تعاقبت عليها صيغتا المفرد والجمع ، وجاء تعليل العلماء لهذا الجانب القرآني متقاربا ، ولم يقف الأمر عند علماء التوجيه عند حد تقرير أصل لغوي فى التقارب بين الصيغتين بل تعداه إلى التنبيه على النكتات البلاغية التى استدعاها اختيار هذا الوجه أو ذلك ، تبعاً لسياقه ومقامه .

وفيما يأتى نماذج من التعاقب السابق على بعض القراءات المتواترة :

١– قوله تعالى "واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار" (٢)

وقوله تعالى : "أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه" (٣)

(١)ينظر : مع القرآن فى دراسة مستلهمة للأستاذ على النجدى ناصف / ١٠٨ .
(٢)ص / ٤٥ .
(٣)الزمر / ٣٦ .

قرأ فى الأولى ابن كثير وحده "واذكر عبدنا" بالتوحيد ، وقرأها الباقون بالجمع [١]

وقرأ فى الثانية نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم ويعقوب "بكاف عبده" بالتوحيد ، وقرأها الباقون بالجمع [٢]

العبد على أضرب :أولاها : عبد بحكم الشرع (المسترق). ثانيها : عبد بالإيجاد : الله

ثالثها ورابعها : عبد بالعبادة والخدمة للناس ، وفى هذا ضربان :

الأول : عبد لله مخلصا ، وهو المقصود بقوله تعالى "واذكر عبدنا أيوب" [٣]

الثانى : عبد للدنيا وأعراضها ... وعلى هذا النحو يصح أن يقال : ليس كل إنسان عبدًا لله ، فإن العبد على هذا بمعنى العابد [٤]، والعابد الموحد [٥]

والقراءة الأولى فى الآيتين على التوحيد ، ففى الآية الأولى "عبدنا" اسم مفرد اجتزئ به عن الجمع ، وعليها يكون "إبراهيم" بدلا من "عبدنا" و"إسحاق ويعقوب" عطفا عليه[٦]

أما الآية الثانية فإن "عبده" اسم مفرد ، والمعنى : أوليس الله بكاف عبده محمداً صلى الله عليه وسلم [٧]

أو : أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء فى مواطن الخوف . [٨]

---

(١)السبعة / ٥٥٤ ، والتجريد / ٥٥١ ، والنشر ٣٦١/٢ .

(٢)التذكرة ٥٢٩/٢ ، والتلخيص / ٣٩٠ ، وتقريب النشر / ١٦٨ .

(٣)ص ٤١ .

(٤)المفردات للأصفهاني "عبد" / ٣١٩ .

(٥)لسان العرب / عبد .

(٦)معانى القراءات / ٤١٧ ، ويراجع الجامع لأحاكم القرآن ٢١٧/١٥ .

(٧)جامع البيان للطبرى ٨/٢٤ .

(٨)معاني القراءات ٤١٧/

أما القراءة الثانية فى الآيتين فعلى الجمع :

أما الآية الأولى فإن "عبادنا" جمع ، وعلى هذه القراءة يكون الكلام قد ورد على ما أوجب الجمع بعده [١]ويكون "إبراهيم" ومن بعده من الأنبياء بدلاً من قوله " عبادنا" [٢]

وأما الآية الثانية "عبادة" فهى جمع عابد بمعنى : عبد ، والمعنى : أليس الله بكاف محمداً وأنبياءه من قبله [٣]، وقيل يجوز أن يريد العبد والعباد على الإطلاق لأن الله كافيهم فى الشدائد وكافل مصالحهم [٤]هذا واحتملت قراءة التوحيد فى الآية الأولى "عبدنا" تخصيص الأفراد بإبراهيم عليه السلام، ويكون وجه الإفراد ها هنا فيما يرى أبو علي وغيره "أنه اختص بالإضافة على وجه التكرمة له ، والاختصاص بالمنزلة الرفيعة ، كما قيل فى مكة : بيت الله ، وكما اختص بالخلة فى قوله "واتخذ الله إبراهيم خليلا" [٥]

أما وجه الجمع فى الآية نفسها فلأن غير إبراهيم من الأنبياء قد أجرى عليه هذا الوصف ، فجاء فى عيسى : إن هو إلا عبد أنعمنا عليه" [٦]، وفى أيوب "نعم العبد" [٧]، وفى نوح : إنه كان عبدًا شكوراً .[٨][٩]

هذا وقد اتخذ أبو على السياق تقوية لوجه الإفراد فى الآية الثانية "بكاف عبده" حين قال : حجة من قال "عبده" فأفرد قوله " ويخوفونك بالذين

(١)الحجة لابن خالويه / ٣٠٥ . الكشاف ٣٩٨/٣ – ٣٩٩ .
(٢)معانى القراءات / ٤١٧ ويراجع الجامع لحكام القرآن ٢١٧/١٥ .
(٣)جامع البيان للطبرى ٨/٢٤ .
(٤)الكشاف ٣٩٩/٣
(٥)النساء / ١٢٥ .
(٦)الزخرف / ٥٩ .
(٧)ص / ٤٤ .
(٨)الإسراء / ٣
(٩)الحجة لأبى على ٣ / ٣٢٩ . ٣٤١ .

من دونه" [١]، فكأن المعنى : أليس الله بكافيك وهم يخوفونك ، ويقوى الإفراد قوله "إنا كفيناك المستهزئين" [٢][٣]

وقريب من هذا – الاعتماد على السياق – ما ردده الموجهون فى جمع وإفراج موضع الفجر "فادخلى فى عبادى" [٤]، وما أجمل ملحوظ ابن جنى حينما قال : إنما خرج بلفظ الواحد ليس اتساعاً واختصاراً عاريا من المعنى ، وذلك أنه جعل "عباده" كالواحد ، أى لا خلاف بينهم فى عبوديته ، كما لا يخالف الإنسان نفسه ، فيصير كقول النبي صلى الله عليه وسلم : وهم يد على من سواهم أى متضافرون متعاونون ، لا يقعد بعضهم عن بعض ، كما لا يخون بعض اليد بعضاً ، وضد هذا قوله تعالى "تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى" [٥][٦]

واحتملت الآية عند ابن حيان أن يراد بالمفرد الجمع فى قراءة من أفرد فيكون إذ ذاك للجنس . [٧]

وهكذا اعتمد أصحاب التوجيه على السياق فى توضيح الإحالة بين المفرد والجمع أو ما يسمى بالتحول فى التركيب ، وانطلقوا ليؤكدوا على اتفاق الجمهور اختيار قراءة الإفراد فى قوله تعالى "وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله" [٨]

---

(١)الزمر / ٣٦.
(٢)الحجر / ٩٥
(٣)الحجة لأبى على ٣ / ٣٢٩ – ٣٤١
(٤)الفجر / ٢٩ .
(٥)الحشر / ١٤
(٦)ينظر : المحتسب ٣٦١/٢ ، يراجع المحرر الوجيز ١٦ / ٣٠٢ ، والبحر المحيط ٤٧٢/٨ ، والبلاغة فى القراءات الشاذة عند ابن جنى / ٤٩ .
(٧)ينظر البحر المحيط ١ / ١٠٤ .
(٨)البقرة/ ٢٣ .

وعلل الزمخشري ، والعكبرى وأبو حيان وجه الجمع بأن المراد به الرسول وأمته ، فهى تدل بذلك مجازاً على معنى العموم ، وكأن الأصل عندهم الإفراد ، لأنه جاء متسارعًا من نظم الآية وسياقها حقيقة لفظاً ومعنى.

وتحليلهم قراءة الجمع للعموم . مجازاً . لأن جدوى المنزل والهداية الحاصلة به من امتثال التكاليف ، والموعود على ذلك لا يختص به يشترك فيه المتبعون والتباع ، فجعل كأنه نزل عليهم ، وذلك نوع من المجاز يجعل فيه من لم يباشر الشيء ، إذا كان مكلفا به منزلة من باشر .... (١)

وبعد فالعلاقة بين القراءتين فى الآيتين هنا التداخل من الوجهتين الصرفية والتفسيرية فالإفراد فى الأولى قد خص سيدنا "إبراهيم" بالذكر وجاء اختصاص من بعده بالذكر عن طريق العطف والإفراد فى الثانية على أن "عبده" مفرد "عباده" .

أما الجمع فى الأولى "عبادنا" فعلى تخصيص الأنبياء جميعاً بالذكر جملة.

هذا ويجوز فى الثانية التقارب من الوجهة الصرفية على أن "عبده" اسم جنس ، وعليه تترادف القراءتان على أن يراد بالعبد والعباد الإطلاق دون تحديد.

٢- قوله تعالى "كل ءامن بالله وملائكته وكتبه ورسله" (٢)

وقوله تعالى "وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين" (٣)

وقوله تعالى "يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب" (٤) قرأ حمزة والكسائى وخلف فى الآية الأولى "وكتابه ورسله" بالتوحيد ، وقرأ الباقون

(١)البحر المحيط ١ / ١٠٤ .
(٢)البقرة/ ٢٨٥ .
(٣)التحريم / ١٢
(٤)الأنبياء / ١٠٤ .

بالجمع [١] وقرأ غير البصريان وحفص فى الآية الثانية "وكتابه وكانت" بالتوحيد وقرأها البصريان وحفص بالجمع [٢]

وقرأ غير حمزة والكسائي وخلف وحفص فى الآية الثالثة "الكتاب" بالتوحيد ، وقرأها حمزة ومن معه بالجمع [٣].

الكَتْبُ: ضم أديم إلى أديم بالخياطة ، يقال : كَتَبْت السِّقاء ، وكتبت البغلة : جمعت بين شفريها بحلقة ، وفى التعارف : ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط ، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ ، فالأصل فى الكتابة النظم بالخط ، لكن يستعار كل واحد للآخر ، ولهذا سمى كلام الله وإن لم يكن كتاباً. [٤]

أما قراءة التوحيد فى الآيات السابقة فتحليلها كالآتي :

فى الآية الأولى الوصل أن "وكناية" مصدر ثم سمى المكتوب فيه كتاباً [٥]، وعلى هذا يكون "مقال" و "مفعول" بمعنى واحد ، والمعنى : والمؤمنون كل ءامن بالله وملائكته وبالقرآن الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . [٦]

وفى الآية الثانية جاءت قراءة التوحيد "وكتابه" اسم مفرد يراد به الجنس ، أو الإنجيل [٧]

وفى الآية الثالثة : الأصل فى قراءة التوحيد "للكتاب" أنه مصدر ثم سمى به كما فى الآية الأولى ، وهو هنا بمعنى : المكتوب ، والمراد بالكتاب

(١)السبعة / ١٩٥، والتجرد / ٢٥٩ ، والنشر ٢٣٧/٢ .
(٢)التذكرة ٥٩٢/٢ ، والتلخيص / ٤٤٠ ، وتقريب النشر / ١٨١ .
(٣)العنوان / ١٣٢ ، وجامع البيان للداني ١٣٧٣/٣ ، وغاية الاختصار ٥٧٦/٢ .
(٤)المفردات للأصفهاني / ٤٢٣ .
(٥)السابق نفسه .
(٦)جامع البيان للطبري ١٢٥/٦ .
(٧)البحر المحيط ٢٦٥/٨ .

هنا : صحيفة ابن آدم عند موته ، أو السجل : الصحيفة والكتاب [١] ، والمعنى : يوم نطوى السماء طياً مثل طي الصحيفة على مكتوبها. [٢]

أما قراءة الجمع فى الآيات السابقة فتحليلها كالآتى :

فى الآية الأولى : جاءت القراءة على الجمع لـ "كتاب " والمعنى والمؤمنون كل ءامن بالله وملائكته وجميع كتبه التى أنزلها الله على أنبيائه. [٣]

وفى الآية الثانية هى جمع كتاب كذلك ، وذلك على أن مريم عليها السلام ءامنت بكتب الله المنزلة على الأنبياء كإبراهيم و موسى وداود وابنها عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، وفى هذا تعميم بالنسبة لمن يرى أن الكتاب فى القراءة بالتوحيد هو الإنجيل . [٤]

وفى الآية الثالثة جاء المعنى : يوم نطوى السماء كطي الملك للكتب[٥] أى : للصحف ، هذا على القول بأن السجل : ملك موكل بالصحف فإذا مات الإنسان رفع كتابه وطواه إلى يوم القيامة [٦]، والكلام السابق يشعر بأن ثمة اتفاق على أن قراءة الجمع للكثرة ، وأما الإفراد فليبس كما تفرد المصادر ، وإن أريد بها الكثير كقوله تعالى "وادعوا ثبورًا كثيراً" [٧]، لكن كما تفرد الأسماء التى يراد به الكثرة نحو قوله : كذا الدنيا والدرهم ... ولا يختلف أفراد هذه الأسماء أو إضافتها .

هذا ويجوز فيمن أفرد فقال : "وكتابه " أن يعنى به الشياع .... [٨]

(١)تفسير الجلالين بهامش الفتوحات الإلهية ٤٨/٣ .
(٢)السابق نفسه .
(٣)جامع البيان للطبري ٦ / ١٢٥ .
(٤) الفتوحات الإلهية ٣٧٢/٤ .
(٥)الكشف ٢ / ١١٥
(٦)تفسير ابن كثير ٣ / ٢٠٠ .
(٧)الفرقان / ١٤ .
(٨)الحجة لأبى على الفارسى ٥٠٩/١ .

ويبدو أن التحليل السابق دفع الزمخشري أن يعلل لمروية ابن عباس . رضى الله عنهما . بأن كتابه بالإفراد أكثر من كتبه حين قال : إذا أريد بالواحد الجنس ، والجنسية قائمة فى وحدات الجنس كلها ، لم يخرج منه شيء ، فأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه النسية من الجموع . [١]

وقد رفض أبو حيان هذا التعليل حين رأى أن : الجمع إذا أضيف أو دخلته الألف واللام الجنسية صار عاماً ، ودلالة العام دلالة كل فرد ... ودلالة الجمع أظهر فى العموم م نالواحد سواء كانت فيه الألف واللازم أم للإضافة ، بل لا نذهب إلى العموم فى الواحد إلا بقرينة لفظية كأن يستثنى منه أو يوصف بالجمع ، نحو : إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين ءامنوا " [٢][٣]والذى يفهم من الآيات السابقة وسياقاتها أن ثمة فرقاً فى المعنى بين قراءة الجمع على الظاهر فى آيات البقرة والأنبياء والتحريم ، والعدول عنه إلى الإفراد عند بعض القراء ، وهذا لم يأت – علاوة على اتباع الأثر – عاريا عن إرادة معنى ما قد يلطف حتى لا يستخرجه مجرد القول بأنه من قبيل وضع المفرد موضع الجمع أو العكس ، أو التعلق بأهداف معضلات لغوية يلجئون إليها – فى الغالب – فراراً من مظنة تعارض القراءات ، بل إن لكل لطيفة دلالية تضاف إلى الجانب اللغوي السابق .

فالحجة لمن جمع فى الآية الأولى هنا أنه شاكل بين اللفظين وحقق المعنى، وبه قال أبو على الفارسي[٤]واستحسنه ابن خالويه[٥]، وابن جنى[٦]، ومكى [٧]والقرطبي [٨] ، لأن الله قد أنزل كتباً وأرسل رسلاً وذكر أبو على

(١)الكشاف ٣٣/١ ، ويراجع إرشاد العقل السليم ٤٢٤/١ ، وحاشية الشهاب ٣٥٤/٢.
(٢)العصر / ٢ ، ٣
(٣)البحر المحيط ٢ / ٣٦٤ ، والدر المصون ٦٩٢/١ .
(٤)الحجة ١ / ٥٠٩ .
(٥)الحجة / ١٠٥ .
(٦)المحتسب ١ / ٢٠٢ .
(٧)الكشف ١ / ٣٢٣.
(٨)الجامع لحكام القرآن ١٠ / ٢١٤ .

لوجه الجمع فى الآية الثانية هنا : أنه موضع جمع ، ألا ترى أنها . مريم . قد صدقت بجميع كتب الله ، فمعنى الجمع لائق بالموضع حسن [١]، أضف إلى ذلك المشاكلة اللفظية وهو قوله : "بكلمات" ، والحجة لمن وجد أنه أراد القرآن ، لأن أهل الأديان المتقدمة قد اعترف بعضهم لبعض بكتبهم وآمنوا بها إلا القرآن فإنهم أنكروه ، فلذلك أفرد ، وجمع الرسول لأنهم لم يجمعوا على الإيمان بهم [٢]والإحالة إلى الإفراد فى الآيتين السابقتين . البقرة والتحريم لإرادة : الكثرة والشياع [٣]

قال أبو شامة موضحاً الإحالة فى التركيب فى الآيتين هما : وتوحيد الكتاب هنا . البقرة . أريد به القرآن أو جنس الكتاب ، وفى التحريم أريد به الإنجيل أو الجنس ، ووجه قراءة من جمع فى البقرة وأفرد فى التحريم أنه نظر إلى من أسند الفعل إليه فى الموضعين ، وهو فى البقرة مسند إلى المؤمنين ، ومؤمنو كل زمان لهم كتاب يخصهم ، وفى التحريم الفعل مسند إلى مريم وحدها فأشير إلى الكتاب المنزل فى زمانها ، ووجه الجمع أن قبلها "بكلمات ربها" وفى البقرة قبلها " وملائكته" وبعدها " ورسله" [٤]

٣- قوله تعالى "ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون .. إنما يعمر مساجد الله من ءامن بالله واليوم الآخر ..." [٥]

قرأ ابن كثير والبصريان "مسجد الله" الأول بالتوحيد ، وقرأه الباقون بالجمع [٦]

(١)الحجة لأبى على ٥٢/٤ .
(٢)الحجة لابن خالويه / ١٠٥ .
(٣)الحجة لأبى على ٥٢/٤ .
(٤)إبراز المعانى / ٢٦٥ .
(٥)التوبة / ١٧
(٦)السبعة / ٣١٣ ، والتجريد / ٣٦١ ، والنشر ٢٧٨/٢ .

المسجد / موضع الصلاة اعتبارً بالسجود ، وقوله " وأن المساجد" [١] قيل : عنى به الأرض ، إذ قد جعلت الأرض كلها مسجدًا وطهورًا ، كما روى فى الخبر [٢]

أما قراءة ابن كثير والبصريين بالتوحيد فعلى أن "مسجد" اسم مكان مفرد ، وذلك على إرادة المسجد الحرام لقوله " عمارة المسجد الحرام" [٣]، أو على إرادة الجنس فيدخل تحته المسجد الحرام ، إذ هو صدر الجنس ومقدمته. [٤]

وأما قراءة الباقين "مساجد" بالجمع لـ "مسجد" فعلى أن مفاعل من صيغ منتهى الجموع ، وذلك على إرادة المسجد الحرام ، وأطلق عليه الجمع إما باعتبار أن كل مكان منه مسجد ، وإما لنه قبلة المساجد كلها ، وإمامها، فكان عامره عامر المساجد ، أو أن يكون الجمع على معناه فيدخل تحته المسجد الحرام ، وهو آكد لن طريقته طريقة الكناية. [٥]

واحتج أبو منصور الأزهري لقراءة الإفراد بـ أنه عنى بالمسجد الحرام ، بدلالة قوله "وعمارة المسجد الحرام" [٦]، ويحتمل أن يكون أراد المساجد كلها، لأن اسم الجنس يد لعلى القليل والكثير ، ويدخل تحته المسجد الحرام ، إذ هو صدر الجنس ومقدمته ، وحجة من قرأ بالجمع على العموم لمنع المشركين من عمارة المسجد الحرام وغيره ، دل على ذلك قوله "إنما يعمر مساجد الله " [٧]، ومن قرأ بالجمع يحتمل أن يراد به المسجد الحرام ، وأطلق

(١)الجن / ١٨ .
(٢)المفردات للأصفهاني / مسجد .
(٣)التوبة / ١٩ .
(٤)البحر المحيط ٥/١٨-١٩ .
(٥)السابق نفسه .
(٦)التوبة/ ١٩ .
(٧)التوبة / ١٨ .

عليه الجمع ، وإما باعتبار أن كل مكان منه مسجد ، وإما لأنه قبل المساجد كلها وإمامها ، فكان عامره عامر المساجد . (١)

وذكر هذا التحليل بوجهيه الزمخشري ، إلا أنه بين أن الوجه الأول : أكد ، لأن طريقته كريقة الكناية ، كما لو قلت : فلان لا يقرأ كتب الله ، كنت أتقى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك. (٢)

ويبدو أن التحليل الغوي كان المهاد الذى أطلق احتمال التعبير الكنائي لأحد الوجهين بحسب سياقه ومقامه ، حيث نجد لفظ الكناية مستعملاً فى معناه الحقيقي ، لينتقل ذهن المتلقي إلى غيره بطريقة اللزوم ، وقد تبدى هذا المفهوم فى تحليل أبى علي ، وأبى منصور والزمخشري فيما سبق ، فلفظ "مساجد الله" . كما نرى . مستعمر فى حقيقته ، وهو جمع مضاف وقع فى حيز النفي ، ومن ثم ينسحب نفيه على كل فرد من أفراد جنسه ، كما يلزم ذلك نفيه عن المفرد المعين بحسب السياق والمقام على طريقة الكناية التى تفيد التأكيد بعموم الحكم وعدم صلاحية المشركين لأن يعمروا شيئاً من مساجد الله ناهيك عن المسجد الحرام الذى هو إمامها ، بل كان تعميره مناط افتخارهم.

وهكذا يظل الوجه الأول . الإفراد – عالقاً بذهن المتلقى يرفع من قيمة الوجه الثانى – الجمع – فى القراءة فيضفى ذلك على عدم صلاحية المشركين لإعمار جميع مساجد الله الذى هو مناخ افتخارهم وتعظيمهم المتمثل فى الجاهلية فى السقاية والرفادة . (٣)

(١)معانى القراءات / ٢٠٤ . ٢٠٥ .

(٢)الكشاف ٢٥٣/٢ ، وجامع البيان للطبري ٦٦/١٠ ، والدر المصون ٤٥٣/٣ ، وإرشاد العقل السليم ٥٢٩/٢ ، والفتوحات الإلهية ٩٧/١ .

(٣)البرهان فى وجوه البيان لابن وهب الكاتب / ١٠٩ ، ويراجع دلائل الإعجاز / ٣٠٦ ، والأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية د. مجيد عبد الحميد ناجى / ٢٣٠ .

وهكذا استعان علماء التوجيه بدلالة صيغتي المفرد والجمع فى التوجيه البلاغي ووجد لمحات وإشارات بلاغية ، وكان المهاد الذى اتكأ عليه هؤلاء هو المهاد اللغوي الذى سبق للباحث أن أفرد له صفحات عديدة فى المستوى الصرفى والمستوى النحوي وتناول التبادل بين صيغة الفرد وما يقابلها بالجمع . (١)

٢- وقوع المظهر موقع المضمر :

يقرر علماء اللغة أن الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكريره فى جملة واحدة ، فالمختار كما هو شائع فى أساليب اللغة وسنن كلامها – أني ذكر ضميره ، أما إذا أعيد لفظه فى جملة أخرى فذلك جائز حسن نحو قوله تعالى "قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حسين يجعل رسالته" (٢)، ثم إنهم يجيزون إعادة لفظة بعينه فى موضع كنايته فى جملة واحدة متى تضمن لطيفة بلاغية فى سياقه ، وإن كان البعض قد مله الضرورة (٣)، لما فيه من العدول والتكرار ، ولذلك تعجب الزركشي من البيانين ، لأنهم لم يسلكوه فى سلك الإطناب . (٤)

وأياً ما يكن الحال فقد فطن موجهوا القراءات إلى تلك الأوجه والملامح البلاغية التى تستدعيها ظاهرة العدول إلى التعبير بالاسم المظهر فى موضع إضماره ومثال ذلك :

(١)ينظر ص .

(٢)الأنعام ١٢٤ .

(٣)ينظر : شرح السيرافى على كتاب سيبويه ٣٠/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢١٦/٢ ، والخصائص ٥٣/٣ – ٥٤ .

(٤)البرهان ٤٨٢/٢ ، ومعجم المصطلحات البلاغية وتطوره ٣٥٥/٣ .

١- قوله تعالى "وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم" [١] قرأ يعقوب وحده " وكلمة الله" بالنصب ، وقرأها الباقون بالرفع . [٢]

أما قراءة يعقوب بالنصب فعلى العطف على "كلمة الذين" ، والمعنى : وجعل كلمته العليا . [٣] وكلمة الله العليا هى : لا إله إلا الله ، وقيل : وعد النصر . [٤]

أما قراءة الباقين "وكلمة الله" بالرفع فعلى ابتداء والخبر جملة "هى العليا [٥]

ويرى مكى أن فى وجه النصب بعداً من المعنى والإعراب ، أما المعنى فإن كلمة الله لم تزل عالية ، فيبعد نصبها بجعل ؛ لما فى هذا من إيهام أنها صارت عليا وحدث ذلك فيها ، ولا يلزم ذلك فى كلمة الذين كفروا؛ أنها لم تزل مجعولة كذلك سفلى بكفرهم ، أما امتناعه من الإعراب ، فإنه يلزم ألا يظهر الاسم وأن يقال : وكلمته هى العليا ، وإنما جاز إظهار الاسم فى مثل هذا فى الشعر ، وقد أجازه قوم فى الشعر وغيره ... [٦]

واعترضه النحاس حينما رأى أنما ذكره الفراء وغيره : لا يشبه الآية ولكن يشبهها ما أنشده سيبويه : لا أرى الموت يسبق الموت شيء (البيت) ، وهذا جيد حسن ؛ لأنه لا إشكال فيه بل يقول النحويون الحذاق : إن فى إعادة الذكر فى مثل هذا فائدة ، وهى أن فيه معنى التعظيم ، قال الله عز

(١)التوبة/ ٤٠ .
(٢)التذكرة ٣٥٨/٢ ، والتلخيص / ٢٧٩ ، وتقريب النشر / ١٢٠ .
(٣)معانى القراءات / ٢٠٨ .
(٤)الجامع لحكام القرآن للقرطبي ٩٨٨/٥ .
(٥)معانى القراءات / ٢٠٨ ويراجع إملاء ما من به الرحمن ١٥/٢ .
(٦)مشكل إعراب القرآن ١ / ٣٢٩ ، ويراجع معانى القرآن للفراء ٤٣٨/١ ، ومعانى القراءات / ٢٠٨ ، والكشاف ٢٧٣/٢ ، والبحر المحيط ٤٤/٥ .

وجل "إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها" [١]فهذا لا إشكال فيه . [٢]

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن موجهى القراءات ومعظمهم من اللغويين قد عنوا كثيراً بتحليل السياق القرآني وما يحدثه تغاير قراءاته من تنوع فى معانيه ، كما فطنوا إلى عددغير قليل من الفنون المترتبة على ذلك التنوع ومنها ذلك النوع من العدول .

أما تحليلهم البديع لنسق قراءة الضم فله ولمثله وليجة من الفصل والوصل ، ويمكن إيجاز ما قالوه من أوجه بلاغية فيه حين نصوا على أن وجه الرفع أبلغ لما فيه من الإشعار بأن كلمة الله عالية فى نفسها، وإن فاق غيرها فلا إثبات لتفوقه ، ولا اعتبار ، ولذلك وسط الفصل [٣] ، أى بالضمير فى قوله : هى العليا . [٤]

والقراءتان بعد هذا التحليل وبعد التفضيل والترجيح فيما سبق متباينتان من الوجهة التركيبية ، فالثانية – قراءة النصب – معطوفة على مفعول جعل السابق ، والثانية – قراءة الرفع – مبتدأ وخبره ، وقد انسحب هذا التباين على الوجهة التفسيرية ، فقراءة النصب فيها إخبار بجعل كلمة الله العليا ، والثانية فيها إعلان وإخبار بعلو كلمة الله .

ونظير قراءة يعقوب بالنصب هنا قراءته بنصب "كل" الثانية فى قوله تعالى " وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها" [٥]

(١)الزلزلة / ١ – ٢ .
(٢)إعراب القرآن ٢١٦/٢ ، ٣٢٤/١ ، ويراجع الكتاب ٦٣/١ – ٦٣ ، والخصائص ٥٣/٣ – ٥٤ .
(٣)إتحاف فضلاء البشر ٩٢/٢ .
(٤)السابق نفسه .
(٥)الجاثية / ٢٨ .

٣- التعبير بلفظ المثنى عن المفرد أو الجمع والعكس :

قد يستدعى ظاهر النظم القرآني لفظ الإفراد أو الجمع ، وفى المقابل قد يعدل عن ذلك إلى التعبير بلفظ التثنية سواء أكان اسماً ظاهراً أم ضميراً ، وذلك لإبراز تسر بلاغي ما ، وربما لا يتضح تمام الوضوح إذا جرى الأسلوب على ظاهره ، وتوضيح ذلك فيما يأتى :

- قوله تعالى "أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين " [١]قرأ أبو جعفر "يا حسرتاي" بياء بعد الألف وفتحها إن جاز واختلف عن ابن وردان فى الفتح والإسكان ، وقرأ الباقون بغير ياء . [٢]

أما قراءة أبى جعفر فقد وجهت على أن الياء زيدت بعد الألف المنقلبة، وقال آخرون : بل الألف زائدة . [٣]

قال أبو الفتح : فى هذه القراءة إشكال ، وذلك أن الألف فى "حسرتا" إنما هى بدل من ياء حسرتي ، أبدلت الياء ألفاً هربا إلى خفة الألف من ثقل الياء ، كقولك : يا غلاما ، ويا صاحبا ، وأنت تريد : يا غلامي ويا صاحبى ... وكان ينبغى ألا يأتى بياء المتكلم بعد الألف ، لأن هذه الألف إنما هى بدل من ياء الضمير ، وليس له هناك ياءان ، فهذا وجه إشكال هذا وهو واضح .

والذى عندى – الكلام لأبى الفتح – فيه أنه جمع بين العوض والمعوض منه ، أعنى البدل والمبدل منه .

وأما إسكان الياء ، فى "يا حسرتاىْ" فى الرواية الثانية فلها هنا فرية : وذلك أنه قد كان ينبغى ألا يجمع بين الألف والياء ، إذ كانت الألف هى

(١)الزمر / ٥٦ .
(٢)ينظر : غاية الاختصار ٦٤١/٢ ، وتقريب النشر / ١٦٨ .
(٣)إملاء ما من به الرحمن ٢١٥/٢ .

الياء ، إلا أنه لما صانع عن ذلك بما ذكرناه ، فأحق الياء على ما فى ذلك ضعفت فى نفسه ، لضعف القياس فى إثباتها مع الألف ، فضاءل منها وألطأ – ألصق – بالسكون شخصها ، وإذا لاطفت فكرك فى تأمل ذلك وأنسته به أصحب إليك وتابعك مع إنارة الفكر عليه [١] فالقراءة مع هذا التوجيه على التثنية.

أما القراءة الثانية " يا حسرتى" فعلى التوحيد .

وذهب الألوسي إلى أن الأوجه فى قراءة التثنية : أن يكون ثنى الحسرة مبالغة ، على نحو لبيك وسعديك ، وأقام بين ظهرتهم وظهرانيهم على لغة بلحارث بن كعب مع إبقاء المثنى على الألف فى الأحوال كلها ، واختار ذلك صاحب الكشف – الطيبي – وجوز أبو الفضل الرازي أيضاً فى كتابه "اللوامح" أن تكون التثنية على ظاهرها على تلك اللغة والمراد حسرة فوت الجنة ، وحسرة دخول النار ، واعتبار التكثير أولى ؛ لكثرة حسراتهم يوم القيامة [٢]

وعليه يكون التعبير بالتثنية قد استدعى معنى المبالغة أو التكثير ، لأن المقصود به تكرر الشيء كرة بعد كرة ، وذلك معنى ربما لا نحسه فى الإفراد والتعبير به عن الدفعة الواحدة [٣]

–قوله تعالى " حتى إذا جاءنا قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين " [٤]. الإفراد والتثنية ،قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر وشعبة بالف بعد الهمزة علي التثنية ،وقرأ الباقون بغير ألف علي التوحيد [٥]. حيث ذهب ابن خالويه إلى أن التثنية تعنى الكافر وقرينه ، وذلك أن حكم

(١)المحتسب ٢/٢٣٧ . ٢٣٩ بتصرف .
(٢)روح المعانى ٢٤ / ١٧ ، وينظر البحر المحيط ٧/٤٣٥ .
(٣)ينظر : أثر النحاة فى البحث البلاغي / ٦٢ ، والأصول البلاغية فى كتاب سيبويه / ١٤٢ .
(٤)الزخرف / ٣٨ .
(٥)ينظر السبعة٥٨٦، النشر ٢/٣٦٩ .

المشتركين فى المصيبة والبلاء أن يخف ذلك عليهما ليسلى بعض ببعض كما قالت الخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولى على أحبابهم لقتلت نفسى

فقال تعالى " إن اشتراكهم فى النار لن ينفعهم ولن يسليهم : "ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون". (١)

أما قراءة الإفراد فوجهها أن المخبر عنه : أفراد بالخطاب فى الدنيا وأقيمت عليه الحجة بتوجيه الرسول إليه ، فاجتزأ بالواحد عن الاثنين ... فلما كان المخبر عنه هو المكلف بذكر الرحمن واتباع منهجه ، والمتحمل وزر ما اكتسب لا غرو خصته قراءة الإفراد بعود الضمير إليه وحده ، لأنه محط الفائدة من السياق ، وإن كان هو وقرينه مشتركين فى الجزاء . (٢)

–قوله تعالى " إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون " (٣)قرئ "اخويكم" على التثنية وقرئ إخوتكم على الجمع ، (٤)وتكمن الملامح البلاغية التى لاحظها الموجهون من العدول عن صيغة الجمع إلى المثنى والعكس وذلك فيما.

قاله أبو على وجمع من الموجهين أن التثنية ههنا قد وقعت موقع الجمع ، فإن قلت : فلم لا يكون قول ابن عامر "فأصلحوا بين إخوتكم" أرجح من قول من قال "أخويكم" لأن المراد هنا الجمع وليس التثنية ، وقوي وضع الجمع القليل موضع الكثير نحو الأقدام والأرسان ، والتثنية ليست كالجمع فى هذا؟ قيل : إن التثنية قد تقع موقع الكثرة فى نحو ما حكاه من قوله : لا يدين بها لك ليس يريد نفى وقتين اثنتين إنما يريد الكثرة .... فكذلك قوله:

---

(١)الزخرف / ٣٩ .

(٢)ينظر إعراب القراءات السبق ٢٩٧/٢ . ٣٠٠ ، وينظر حجة القراءات / ٦٥٠ ، والكشف ٢٥٨/٢ . ٢٥٩ ، الكشاف ٢٥٢/٤ .

(٣)الحجرات / ١٠ .

(٤)ينظرالتذكرة٢//٥٦٢،غاية الاختصار ٦٦٣/٢،تقريب النشر ١٧٥.

فأصلحوا بين أخويكم" يراد بن الطائفتان والفريقان ، ونحوهما مما يكون كثرة، وإنك ان اللفظ لفظ التثنية ، كما أن لفظ ما ذكرنا لفظ التثنية والمراد به الكثرة والعموم ... (١)

ويبدو أن المفهوم السابق عرف لغوي جرى عليه الاستعمال العربي فى التعبير بلفظ التثنية المفيد لمطلق التكرار عند إرادة الكثرة أو المبالغة ، ولكن على الرغم من ذلك ، فإن الزمخشري يتساءل : فإن قلت : فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع ؟ قلت : لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان ، فإذا لزمت المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم ؛ لأن الفساد فى شقاق الجمع أكثر من شقاق الاثنين . (٢)

٤- تغاير حروف المعانى وتنوع الدلالة :

الأصل فى كل حرف أن لا يدل إلا على ما وضع له ، ولا يدل على معنى حرف آخر (٣) كما يقول ابن الأنباري، فإذا كان الأمر كذلك فهل يجوز أن ينوب حرف عن آخر ، فيقع موقعه ، ويؤدى معناه ؟

أقول : اختلف نظر اللغويين فى ذلك ، فاستمسك معظم نحاة البصرة بأصل الوضع اللغوي الذى قرره صاحب الإنصاف بناء على مذهبهم ، أما الكوفيون فذهبوا إلى جوازه محتجين بوروده فى كتاب وكلام العرب . (٤)

هذا وقد ظهر أثر الموقف السابق على توجيه تلك الظاهرة القرائية التى أحسبها السبب الرئيس فى هذا الخلاف بين كلا الاتجاهين ، أو هى على الأقل باعثاً من بواعثه ، كما أكتفى بذكر بعض النماذج التى تعكس

(١)ينظر : الحجة لأبى على ٢٠٧/٦ – ٢١٠ ، والمحتسب ٢٧٨/٢ . ٢٧٩ ، وحجة القراءات / ٦٧٥ . ٦٧٦ .

(٢)ينظر الكشاف ٣٦٦/٤ ، والمحرر الوجيز ١٤٢/١٥ ، والبحر المحيط ١١٢/٨ .

(٣)الإنصاف فى مسائل الخلاف ٤٨١/٢ "مسألة / ٦٧" .

(٤)السابق ٤٧٨/٢ ، وما بعدها .

هذه الظاهرة ، وما تمخض عن ذلك من تنوع دلالي وملامح بلاغية ترتبط أساساً بسياق الآية ومقامها .

–قوله تعالى " ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا " (١)

قرأ ابن كثيرة وأبو عمرو "إن صدوكم" بكسر الهمزة وقرأ الباقون بفتحها . (٢)

أما قراءة ابن كثيرة وأبو عمرو بكسر الهمزة فعلى أن إن هى التى للشرط ، وفى الكلام معنيان :

الأول : أن يكون الفعل "صد" ماض لفظا ومعنى ، والكلام عليه مثال لما وقع فى الماضى أى : لا يجرمنكم شنآن قوم إن وقع صد فى المستقبل مثل الصد الذى كان زمن الحديبية ... (٣)

الثانى: أن يكون "صد" ماض لفظ ، مستقبل معنى لدخول أداة الشرط عليه ، والمعنى : إن وقع صد يما يستقبل فلا يسكنكم الاعتداء ، فالصد منتظر وقوعه (٤)، ويؤيد هذا المعنى قراءة ابن مسعود "إن يصدوكم" (٥) ونسبها القرطبي للأعمش . (٦)

وأما قراءة الباقين بفتح همزة "أن صدوكم" فعلى أن "أن" هى المصدرية، فيكون ذلك تعليلها للشنآن (٧)، والمعنى عليه : لا يكسبنكم بغض

(١)المائدة /٢.
(٢)التذكرة ٣١٥/٢ ، والعنوان / ٨٧ ،. وتقريب النشر / ١٠٧ .
(٣)ينظر المحيط ٤٢٢/٣ ، ويراجع الكشف ٤٠٥/١ .
(٤)الكشف ٤٠٥/١ .
(٥)ينظر المحتسب ١ / ٢٠٦ ، ويراجع معانى القرآن للفراء ١ / ٣٠٠ .
(٦)الجامع لحكام القرآن ٢٠٤٣/٣ .
(٧)الكشف ٤٠٥/١ .

قوم من أجل أن صدوكم عام الحديبية عن ا لمسجد الحرام الاعتداء أى الانتقام منهم بإلحاق المكروه بهم . (١)

ويبدو أن الذى ناسب قراءة الجمهور هنا ما شاع من سبب نزولها ، قال أبو على الفارسى فإن قلت كيف صح الجزاء هنا . عند من كسر . والصد ماضى ، لأنه إنما هو ما كان من المشركين من صدهم المسلمين عن البيت فى الحديبية ، والجزاء إنما يكون بما لم يأتى، فأما ما كان ماضياً فلا يكون فيه الجزاء ؟

فالقول فيه : أن الماضى قد يقع فى الجزاء ، وليس على أن المراد بالماضى الجزاء ، ولكن المراد : أن ما كان مثل هذا الفعل : فيكون اللفظ على ما مضى والمعنى على مثله ، كأنه يقول : إن وقع مثل هذا الفعل يقع منكم كذا ... (٢)

وإذا كان أبو على الفارسي قد حمل الشرط على معنى المضى ، لتتوافق القراءتان ، فإن أبا حيان – كما سبق – يرى حمله على المستقبل.(٣)

ويتجلى على أحد هذين التأويلين مبدأ الإيجاز الذى هو العلة الكبرى التى وقفت وراء تغاير القراءات القرآنية ، إذ إن لكل قراءة حكماً مستقلا تنص عليه ، ولا يتأتى معنى الآية إلا بالجمع بين الحكمين أى على قراءتيها بالاستقبال والمضي .

هذا وقد استعان أصحاب الاتجاه الفنى بما تتيحه سعة العربية من إمكانيات فى استعمال "إن" الشرطية . على نحو ما ذكرت . التى تستخدم أصلاً فى المبهم أو المحتمل الوقوع . فى مقام الجزم والتحقيق ، ولذا رأى

(١)البحر المحيط ٤٢٢/٣٦ .

(٢)الحجة لأبى على ٢١٢/٣ . ٢١٤ ، ويراجع الكتاب ١١/٣ ، والحجة لابن خالويه / ١٢٩ ، وحجة القراءات ٢٢٠ ، والكشف ٤٠٥/١ .

(٣)البحر المحيط ٤٢٢/٣ ، ويراجع الفتوحات الإلهية ٤٥٩/١ ، وإعراب القرآن للنحاس ٦٠٥/٢ ، وإعراب القراءات السبع ١٤٢/١ . ١٤٣ .

أبو السعود . (٩٨٢ هـ) أن اختيار القراءة بها قد أبرز الصد المحقق فيما سبق فى معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على أن حقه لا يكون وقوعه إلا على سبيل الفرض والتقدير . [١]

- قوله تعالى "أفنضرب عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين" [٢]

قرأ المدنيان وحمزة والكسائي وخلف بكسر الهمزة فى "إن" وقرأ الباقون بفتحها.. [٣] ، ونلحظ هنا أثر السياق فى قراءة الكسر ، وكذا ما لوحظ من لمحات بلاغية مترتبة على تغاير القراءات هنا .

يقول الزمخشري : فإن قلت : كيف استقام معنى إن الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت؟ قلت : هو من الشرط الذى ذكرت أنه يصدر عن المدِلِّ بصحة الأمر المتحقق لثبوته ، كما يقول الأجير : إن كنت عملت لك فوفنى حقى ، وهو عالم بذلك ، ولكنه يخيل فى كلامه أن تفريطك فى الخروج عن الحق يجعل من له شك فى الاستحقاق مع وضوحه ، استجهالا له [٤] والحال كذلك عند مشركي مكة حينما أسرفوا فى تكذيب الرسول – صلى الله عليه وسلم – ورسالته ، فأخرج إسرافهم المحقق على صورة الفرض للتنبيه على جهلهم ، وللدلالة على وجوب انتفائه وعدم صدوره أصلاً ممن يسمع أو يعقل .

والمعنى الذى استظهره الزمخشري فيما سبق يظهر فيه استلهامه فكر ابن جنى ولفظه ، ثم إنه قد أضحى عند علماء البلاغة أمرًا مقرراً ، وذلك فى حديثهم عن التقييد بالشرط.[٥] وجواز استعمال "إن" فى موضع "إذا" فى الشرط المجزوم بثبوته لأغراض منها ما سبق ، غير أن اللافت للنظر هنا

(١)إرشاد العقل السليم ٢/٧–٨ ، ويراجع حاشية الشهاب ٣/٢١٤ ، وروح المعانى ٦/٥٦ .
(٢)الزخرف / ٥ .
(٣)ينظر السبعة/٥٨٤،النشر٣٨٦.
(٤)الكشاف ٤/٢٣٧ ، والبرهان ٢/٣٦٠ ، ٣٦١ ، حاشية الشهاب ٧/٤٣٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢/٤٥٣.
(٥)ينظر : مفتاح العلوم / ١٣٦ ، وبغية الإيضاح ١/٢١٩ – ٢٢٠ ، وشروح التلخيص ٢/٤٤ وغيرها.

أن تلك المعانى إنما تتأتى على مذهب البصريين الذين ذهبوا أن لكل حرف معنى لا يكاد يفارقه أو ينفك عنه ، غير أن ابن جنى يرى أن استعمال الحروف بعضها مكان بعض ليس مطلقاً ، بل يكون ذلك فى موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له ، فأما فى كل موضع وعلى كل حال فلا [١] ، ثم يجعل ذلك من باب الحمل على المعنى وتضمين فعل معنى فعل آخر ، ثم يقول : وكل حرف فيما بعد يأتيك قد أخرج عن بابه إلى باب آخر فلابد أن يكون قبل إخراجه إليه قد كان يرائيه ، ويلتفت إلى الشق الذى هو فيه . [٢]

أما مذهب الكوفيين فقد ذكر ابن هشام أن الراجح فى مذهبهم فى إفادة "أن" معنى الشرط كإن المكسورة ، ودلل على ذلك بأمور منها : توارد المفتوحة والمكسورة على المحل الواحد ، والأصل التوافق ، وقد قرئ بالوجهين فى المثال الذى معنا والسابق . [٣]

ولعل توارد الحرفين على محل قرائي واحد – فيما أرى – لا يقوم دليلاً على أنهما بمعنى واحد ؛ لأن ذلك الأصل الذى تواضعوا عليه فى توافق القراءتين فى المعنى ليس بلازم مطلقاً لأمور منها :

- أنه يفوت علينا علة التيسير والتخفيف التى وقفت أصلاً وراء تغاير القراءات وتنوع لوجوه فقهية وبلاغية .
- أن الاعتداد به مطلقاً قد جعلهم – كوفيين وبصريين – يلجئون إلى تصيد دلائله بالتقدير والتماحل والتأويل الذى كان يبعد بالآيات عن مرادها فى بعض الأحيان ، وقد تبدت قضية تقارب الحروف كذلك فى توجيههم لتعاقب حروف العطف فى بعض القراءات من ذلك توارد "أو" والواو على "أن يظهر" فى قوله تعالى

(١)الخصائص ٢/٣٠٨ .
(٢)الخصائص ٢ / ٤٦٥ .
(٣)مغنى اللبيب بحاشية الأمير ١ / ٣٤ ، وينظر الإتقان ١ / ٢٠٣ ، ومعترك الأقران ١ / ٦٠٩ .

- "وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد" (١)

قرأ الكوفييون ويعقوب (أوأن)بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو وإسكان الواو، وقرأ الباقون بغيرألف. (٢) ، قراءة العامة بالواو واختارها أبو عبيد القاسم بن سلام محتجاً بأن "أو" بمعنى الواو غير أن أبا جعفر النحاس يرى أن : هذا عند حذاق النحويين لا يجوز أن تكون بمعنى الواو ، لأن فى ذلك بطلان المعانى ، ولو جاز أن يكون بمعنى الواو لما احتيج إلى هذا ههنا لأن معنى الواو : إنى أخاف الأمرين جميعاً ، ومعنى أو لأحد الأمرين ، أى : إنى أخاف أن يبدل دينكم ، فإن أعوزه ذلك أفسد فى الأرض . (٣)

وإذا اعتمدنا مذهب أبى عبيد السابق فلن يكون ثمة فرق كبير فى المعنى بين كلتا القراءتين، أما إذا اعتبر مذهب غيره ، فإن كل وجه يشير إلى معنى مغاير للآخر حسبما يقتضيه أصل الوضع اللغوي من معنيهما ، لذا فإن الباحث يرى أن كل قراءة تمثل موقفاً لفرعون مع أعوانه ومستشاريه ، إذ بني حجته فى الأولى على الإبهام أو التدرج ، وقدم خوفه من تبديل دينه، لأنه كان الأهم عنده ، أما الأخرى فهى تمثل موقفاً آخر تسلط فيه خوفه على التبديل والإفساد معا حتى يصل فى محاجته المغلوطة إلى إقناع أعوانه وأتباعه بخطر موسى عليه السلام على دينهم ودنياهم معاً ، ومن ثم يتحقق للآية بأوجهها . أو أن و . معنى الإيجاز .

- ويمكن كذلك بيان أثر تعاقب حرفي الواو والفاء على موضع "ولا يخاف" في قوله تعالى "ولا يخاف عقباها" (٤)

(١) غافر / ٢٦ .
(٢) ينظر السبعة/٥٦٩،النشر ٢/٣٦٥.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣١/٤ ، وحجة القراءات / ٦٢٩ . ٦٣٠ ، والكشف ٢٤٣/٢ ، والكشاف ١٦١/٤ .
(٤)الشمس / ١٤ – ١٥ .

قرأ المدنيان وابن عامر "فلا يخاف" بالفاء وقرأ الباقون "ولا يخاف" بالواو . (١)

أما قراءة المدنيين والشامي بالفاء فعلى العطف ، حيث عطفت الفاء قوله" فلا يخاف" على قوله "فكذبوه فعقروها" كأنه تبع تكذيبهم وعقرهم ترك خوف العاقبة (٢) ، لن الفاء تفيد الترتيب بالعطف هنا من غير مهلة (٣)، أى فلا يخاف عقبى هلكتهم ولا يقدر أن يرجعوا إلى السلامة بعد أن أزالها عنهم (٤) ، وفاعل "يخاف" ضمير الله جل ذكره أو الرسول ، وهو سيدنا صالح ، ولا يجوز أن يكون العاقر . (٥)

أما قراءة الباقين بالواو فعلى أنها للحال ، والمعنى : فعقروها غير خائفين من عقبى العقر ففاعل "يخاف" العاقر ، ويجوز أن يكون الفاعل هو الله جل ذكره على معنى فدمدم عليهم ربهم غير خائف من عقبى دمدمته بهم، ويجوز أن يكون الفاعل النبى المرسل (٦) ، والمعنى عليه ، والنبي غير خائف عقبى هذه الفعلة بهم إذا كان قد أنذرهم وحذرهم. (٧)

ويحوز فى الواو أن تكون استئنافية ، ويكون الكلام قد تم عند قوله "فسواها" ثم استأنف لا دّرك عليه تعالى فى فعله بهم ، قاله ابن عباس ، والحسن ، ونيه ذم لهم وتعفية لآثارهم (٨)

ويرى الباحث أن السبب وراء اختلاف الموجهين فى الآية التى معنا فتح من آثار تعاقب الواو والفاء على موضع "ولا يخاف" وكذا اختلافهم فى مرجعية ضمير الفعل بعدها ، وما ينبنى عليه من معنى الحقيقة والمجاز ،

(١)ينظر السبعة / ٦٨٩ ، والتجريد / ٦٤٥ ، والنشر ٤٠١/٢
(٢)الكشف ٢ / ٣٨٢ .
(٣)إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٢٨٨ .
(٤)معانى القراءات / ٥٤٨ . ٥٤٩ .
(٥)الفتوحات الإلهية ٥٤٤/٤ .
(٦)الكشف ٢ / ٣٨٢ .
(٧)الحر المحيط ٤٨٢/٨ .
(٨)البحر المحيط ٤٨٢/٨ .

وذلك فيما ذكره ابن عطية حين قال : والفاعل يخاف على قراءة الفاء يحتمل أن يكون الله تعالى ، والمعنى : فلا دَرْك على الله فى فعله بهم لا يسأل عما يفعل ... وفى هذا المعنى احتقار للقوم وتسفية لأثرهم ، ويحتمل أن يكون صالحاً عليه السلام أى : لا يخاف عقبى هذه الفعلة بهم ، إذ كان قد أنذرهم وحذرهم ، ومن قرأ بالواو ... فيحتمل الوجهين اللذين ذكرنا ، ويحتمل أن يكون الفاعل يخاف أشقاها المنبعث ، قاله الزجاج وأبو على ، وهو قول السُّدى والضحاك ومقاتل وتكون الواو واو الحال كأنه قال : انبعث لعقرها وهو لا يخاف عقبى فعله لكفره وطغيانه . (١)

فيكون الإسناد على الوجه الأول من باب المجاز على سبيل التمثيل ، لأن الله تعالى لا يخاف عاقبة ما فعله بهم "كما يخاف الملوك عاقبة ما تفعله ، فهو استعارة تمثيلية لإهانتهم وأنهم أذلاء عند الله (٢)، فى حين يكون إسناد الفعل على الوجهين الآخران قد جرى معناه الحقيقى ، سواء أسند إلى رول الله صلى الله لعيه وسلم أم أسند إلى ذلك الأشقى عاقر الناقة.

هذا والتركيب بين القراءتين مختلف ففى القراءة الأولى نجد أن جملة "فلا يخاف" مرتبطة بما قبلها عن طريق الفاء العاطفة ، وفى القراءة الثانية ترتبط جملة "ولا يخاف" بفاعل "دمدم" لأنها حال له ، أو أن قوله "ولا يخاف" كلام منقطع عن سابقه. (٣)

وكان للتغاير بين تركيب القراءتين فيما سبق أثر فى تغاير المعنى فى القراءتين فقد دلت القراءة الأولى هنا على أنه وقع منهم تكذيب وعقر تبع ذلك عدم خوف العاقبة ، فى حين بينت القراءة الثانية حال المدمدم وهو عدم الخوف من عاقبة الدمدمة ، أو أن هذا خبر جدير من الله تعالى أن يفعل بهم ما يشاء .

---

(١)المحرر الوجيز ٣١٣/١٦ ، ويراجع الكشف ٣٨٢/٢ ، والبحر المحيط ٤٨٢/٨ ، والفتوحات الإلهية ٥٤٤/٤ .

(٢)حاشية الشهاب على البيضاوي ٣٦٧/٨ ، ويراجع الكشاف ٧٦١/٤ .

(٣)ينظر المصاحف / ٤٧ ، والمقنع / ١٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ٦١٢/٢ .

المبحث الثاني بلاغة الجملة في القراءات المتواترة :

من الحقائق التى لا تنكر أن جريان الجملة على الشائع من قواعد اللغة قد يتجاوز حدود الإفهام إلى الإشارة إلى مفاهيم بلاغية أخر يستدعيها اختيار نمطها فى سياقه ومقامه وكأنى به يُلح على أن تلك القواعد بالرغم من ثباتها وقياسيتها ومعياريتها ، لها كذلك طاقة خلاقة متجددة يتفتق عنها الاستعمال القرآني المعجز ، ولا سيما مع تعدد قراءاته المتواترة، كما يمتلكها كل مفتن يحاول أن يجد له فى الإبداع مكانا ، وهى متجددة من حيث أن القاعدة الواحدة لا تنتج دلالة واحدة فى كل السياقات المستخدمة فيها [١] ، بل يختلف معناها من سياق إلى آخر ، فالمادة واحدة أو متشابهة ولكن الكاتب الحاذق هو الذى يختار لها الموضع المناسب والمعرض الحسن .

هذا ومن بلاغة الجملة ما نلاحظه من تغاير فى أسلوبها بين الخبر وأساليب الاستفهام والأمر ؛ وكذا ما نلاحظه فى الحذف والذكر فيها ، والتكرار ، والإطناب وصوره ... إلخ

وفيما يلى عرض نماذج من جوانب بلاغة الجملة في القراءات المتواترة التى أتت على هذه الجوانب.

المطلب الأولً : التقديم والتأخير :

يعد التقديم والتأخير مظهراً من مظاهر كثيرة تمثل أو تعكس قدرات إبانة أو طاقات تعبيرية يديرها المتكلم اللقن إدارة حية وواعية ، ويسخرها تسخيراً منضبطاً أو منظماً للبوح بأفكاره وألوان أحاسيسه ومختلف خواطره ، ومواقع الكلمات من الجملة عظيمة المرونة كما هى شديدة الحساسية ، وأى تغيير فيها يحدث بلا شك – تغييرات جوهرية فى تشكيل المعانى وألوان الحس ، وظلال النفس ... والباحث يؤكد على أن بناء العبارة فى حقيقة

(١)ينظر للمزيد / الجملة فى الشعر العربى د. محمد حماسة عبد اللطيف / ٢١٨ . ٢١٩ ؟

الأمر بناء خواطر ومشاعر واختلاجات قبل أن يكون هندسة ألفاظ وتصميم قوالب ، ثم يرى أنه إذا كان السياق سياقاً فياضا وحافلاً أبدت بعض الزخرفات الخفيفة للكلمات غنى وفيضاً ، وترى هذا يجرى فى جميع الأبواب البلاغية فى قصر المسند إليه والمسند ومتعلقات الأفعال .

وتعد قابلية اللغة للتغييرات في الموقع من كماليات اللغة ومميزاتها حيث إنه لو كانت مواقع الكلمات غير قابلة للتغيير لكان ذلك عيباً فى اللغة بل عجزا قاهراً فى اللسان يحبس أنبل ما تشعر به النفس الإنسانية من حس دقيق واختلاجة خفيفة لا سبيل إلى أن تركب متن الكلمة وأن تبتلها فى داخلها وتفصح عنها فى الأداء . (١)

هذا ويعد ترتيب الكلمات داخل الجملة من العناصر التى تؤثر فى المعنى داخل السياق ، إذ يعمد المتكلم إلى ترتيب المورفيمات بطريقة مخصوصة ومقصودة ، كي يتحقق معه المعنى المراد ، وهذا ما أبدعت فيه العربية ؛ لأن من سنن العرب تقديم الكلام ، وهوفي المعنى مؤخر ، وتأخيره وهو فى المعنى مقدم (٢) لذا كان من الضرورى أن تلقى ظاهرة التقديم والتأخير عناية من اللغويين وهم بصدد معالجة قضاياهم النحوية ، ودار حديثهم فيها على تشعبه حول ما يجب فيه وما لا يجوز ، وكذلك القبيح الذى قد يورث الكلام تعقيداً ، وجاء منطلقهم فى هذا مقولتا : الرتبة ، ومراعاة الأصل فى الكلام ولذلك قسموا التقديم قسمين : إما أن يقدم فى الرتبة دون الحكم ، كتقدم المفعول على فاعله ، وإما أن يقدم فى المرتبة والحكم معاً ، كتقدم رتبة المفعول وحكم فى باب الاشتغال إذا ما ارتفع بالابتداء كما فى قولهم : زيد ضربته . (٣)

(١)نظرية العلاقة أو النظم بين عبد القاهر والنقد العربى . د. محمد نايل أحمد / ٧٨ .
(٢)الصاحبى / ٢٤٤ .
(٣)الكتاب ٣٤/١ ، ويراجع الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية د. محمد عبد الحميد / ١١٧ .

ومما لا ينكر هنا أن لقرينة الإعراب والبناء دورًا أولياً مهما فى ملاحظة ظاهرة التقديم والتأخير واستشراف قيمتها التعبيرية . ولا سيما فى اتساق التعبير القرآني وقراءته . ؛ إذ إنها تعين على تحديد الدلالة الوظيفية للكلمة داخل تركيبها، ومن ثم تتيح لها حرية الحركة بالزحزحة . التقديم والتأخير . تحقيقاً أو تقديراً ، مما ترتب عليه تغاير الوجوه الإعرابية والصرفية بين القراءات ، وأبدع الموجهون والمحللون فى اختيار أوجه ا لقراءات علي هذا التقدير أو ذاك ، إما مسايرة لمذهبه ومتجهه اللغوي ، وإما قصداً إلى بيان وجه دلالي بلاغي يستدعيه السياق ويتطلبه المقام .

ومما لا ينكر هنا – ولا يقلل من جهودهم أن النحويين لم يتغلغلوا إلى معرفة دقائق الكلام ، والفروق بين التراكيب ، ووجوه الاختلاف بينها ، سواء فى التقديم والتأخير ، أو فى الحذف والذكر ، أو فى التكرار أو فى الإضمار والإظهار ، أو فى الوصل والفصل ... إلخ من صور التراكيب المختلفة وكان مهادهم الذى يخلدون إليه فى الكثير مما يتعرضون له من صور هذه الظاهرة بالبحث أو التوجيه مقولة عبدالقاهر : (كأنهم إنما يقدمون الذى بيانه الهم وهم ببيانه أعنى ...) [١]، هذه المقولة التى ظلت المرجع الأساس لعلماء اللغة وهم يعالجون صور هذه الظاهرة .

ومن أمثلة ذلك.....

- قوله تعالى : "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم " [٢]

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وروح "والقمر" برفع الراء ، وقرأ الباقون بنصبها . [٣]

(١) في:أسرار البلاغة

(٢)يس / ٣٩ .

(٣)التذكرة ٢/٥١٢ –٥١٣ ، والتلخيص / ٣٨٠ ، وتقريب النشر / ١٦٤ .

أما قراءة ابن كثير ومن وافقه "والقمر" بالرفع فعلى وجهين :

الأول : القطع على قوله تعالى "وءاية لهم الأرض الميتة" [١] ، وهو عطف جملة على جملة ، "وءاية" رفع بالابتداء ، و"لهم" صفة للآية ، والخبر محذوف ، والتقدير : وءاية لهم فى المشاهدة ، أو : فى الوجود ، وقوله :"الأرض الميتة" [٢]و "والليل نسلخ منه النهار" [٣]، و"القمر قدرناه" كله تفسير للآية جاء على ما يجب من الإعراب [٤] ، والمعنى : وءاية لهم تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه [٥]، وعلى هذا يكون القمر من ءايات الله فى الكون .

الثانى : القطع عما قبله وجعله مستأنفا على أنه مبتدأ ، و"قدرناه" الخبر ؛ والمعنى : والقمر قدرناه منازل" [٦]، وهذا إخبار من الله عن تقديره لمنازل القمر .

أما قراءة الباقين "والقمر" بالنصب فعلى إضمار فعل تقديره : وقدرنا القمر قدرناه منازل، أى : ذا منازل[٧]، وهذا من باب الاشتغال ، وذكر الطبري أن المعنى : وقدرناه القمر منازل كما فعلنا بالشمس . [٨]

وإذا كانت قراءة الرفع تقرر أن الوضع الذى فى القمر مختلف عما هو فى الشمس فكل منها آية بدلالة حرف الواو الذى هو للاستئناف . علماً بأن الكلام تم بقوله : "ذلك تقدير العزيز العليم" وهذا الاستئناف لا يمنع من تعدد

(١)يس / ٣٣ .
(٢)يس / ٤٤ .
(٣)يس / ٣٧ .،
(٤)معانى القراءات / ٤٠١ .
(٥)السابق نفسه .
(٦)السابق نفسه .
(٧)الكشف ٢ / ٢١٦
(٨)في :جامع البيان له ١ / ٤٤١ .

الآيات للبراهين على قدرته ، ونعمائه سبحانه ، وإنما يجعل ذلك ثابتاً على الدوام من غير انقطاع إذ الجملة اسمية لا فعلية . (١)

إذا كانت قراءة الرفع كذلك فإن قراءة النصب تدل على أن نور القمر يزيد كل يوم فى المنازل الاجتماعية ، أى المدبرة ، وينقص فى المنازل الاستقبالية ، أى : المقبلة : أو هو يجرى عكس منازل الشمس ، لأن جرم القمر مظلم ينزل فيه النور لقبوله عكس ضياء الشمس . (٢)

والمعنى السابق هو ما أوحته قراءة النصب مما فيها من زيادة عناية بحالة القمر والتى تخالف – قطعاً – حالة الشمس ، وهذا لا يتأتى فى قراءة الرفع ، مما يعطى قراءة النصب اهتماماً وعناية.

وكاد أبو على الفارسي أن يضع أيدينا على البنية الإخبارية المستفادة من قراءة النصب حين قال : ومن نصب فقد حمله سيبويه على : زيدا ضربته ، قال : وهو عربى ، ويجوز فى نصبه وجه آخر ، وهو أن تحمله على "نسلخ" الذى هو خبر المبتدأ على ما أجازه سيبويه من قولهم : زيد ضربته ، وعمرو أكرمته ، على أن تحمله مرة على الابتداء ، ومرة على الخبر الذى هو جملة من فعل وفاعل . (٣)

فالمفهوم من كلام السابق : أن النصب محمول على الهاء من الشمس فى المعنى العائد على الضمير فى "تجري " من غير أن يوقع عليه ما أوقع على الشمس ، مثل : عبد الله يقوم وجاريته يضر بها "بنصب "جارية" لعودة الجارية على الفعل لا على الاسم (٤)، أى أنه منصوب على الاشتغال .

وهكذا استأنس العلماء بهذا الموضوع النحوي فى توجيه ظاهرة التقديم والتأخير هنا ، حيث إن الإعلام بالشيء قبل تقدم التنبيه ليس كإعلامه بعد

(١)البحر المحيط ٣٣٦/٧ ، والتحول فى التركيب وعلاقته بالإعراب عبد العباس عبد الجاسم / ١٦٠ .
(٢)البحر المحيط ٧ / ٣٣٦ ، وحجة القراءات / ٥٩٩ .
(٣)الحجة ٣٠٧/٣ .
(٤)الكشف ٢١٦/٢، والكشاف ٢ / ٢١٦ .

تقدم التنبيه عليه حتى يجرى ذلك مجرى التوكيد فى التقرير ، فالشيء إذا أضمر ثم فسر كان أفخم .... (١)

- قوله تعالى "فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم. (٢)
- وقوله تعالى "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون" (٣)

قرأ حمزة والكسائى وخلف فى الآية الأولى "وقتلوا وقاتلوا" بتقديم "وقتلوا " ، وفى الثانية "فيقتلون ويقتلون" بتقديم "فيقتلون" المجهول وقرأ الباقون بتأخيرهما. (٤)

فالقراءة الأولى فى الآية الأولى بتقديم الفعل المبنى للمجهول على تقديم الفاعل على المفعول على الأصل لكن الواو لا تعطى رتبة قدمت المفعول أو أخرته ، فالتقديم هو لمن له المعنى فى التقديم ، وقد قيل : إن معنى تقديم المفعول ، هو أن بعضهم "قتل" و "قائل" الباقون ولم يهنوا بعد قتل أصحابهم وهذا المعنى يوجب تقديم المفعول ، وهو أبلغ فى مدحهم لأنهم لم يهنوا ولا ارتاعوا لقتل أصحابهم بل جدوا فى القتال بعد قتل أصحابهم . (٥)

أما القراءة الثانية فى الآية نفسها فالفعل الأول "قاتلوا" ماضى من باب "فاعل" يدل على المشاركة وهى مبنى للفاعل وهو الضمير المتصل بالفعل ،

(١)البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن لابن الزملكانى / ٢١٤ .
(٢)آل عمران / ١٩٥ .
(٣)التوبة / ١١١ .
(٤)الكشف ٣٧٣/١ . ٣٧٤ .
(٥)الكشف / ٣٧٣ – ٣٧٤

والفعل الثانى "وقتلوا " ماضى من باب "فعل " يدل على وقوع الحدث من طرف واحد مبنى للمفعول ، ونائب الفاعل الضمير المتصل بالفعل . (١)

أما الآية الثانية فقد أبو على الفارسي من قال "فيقتلون ويقتلون" فقدم الفاعل المسند إلى الفاعل على الفعل المسند إلى المفعول ، فلأنهم يقتلون أولاً فى سبيل الله ويقتلون ولا يُقتلون إذاً ، ومن قدم الفعل المسند إلى المفعول به على المسند إلى الفاعل جاز أن يكون فى المعنى مثل الذى تقدم ، لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم ... (٢)

وكأنى بأبى على يرى تساوى القراءتين فى المعنى ، ولا وجه قائم للتقديم والتأخير ، غير أننا نستلهم من تحليله لوجه تلك المغايرة بين القراءتين دليلاً على أن الواو لا تفيد ترتيباً كالفاء وثم ، بل تكون لمطلق الجمع عند أكثر النحويين ، وبه قال مكى (٣)، وابن الأنباري (٤)، وابن عطية (٥) والبنا الدمياطي (٦)، وبالغ السيرافى حين قال : إن النحويين أجمعوا على أنها لا تفيد الترتيب (٧)والجمع بين الفعلين على هذا المعنى من غير ترتيب على اتحاد الفاعلين الذين صدر منهم هذان الفعلان ، ومن ثم استحال الترتيب على قراءة حمزة ومن معه عند أبى على الفارسي ومن وافقه وتفيد الواو أيضاً التوزيع ، أى أن منهم من قتل ، ومنهم من قاتل مع اشتراك الجميع فى القتال بداية وهم على ذكر المعنى الأصلي الذى حددوه للواو ،

(١)البحر المحيط ١٤٥/٣ ./

(٢)الحجة ٢ / ٣٤٢ ، وحجة القراءات / ١٨٧ ، والكشف ١ / ٣٧٣ . ٣٧٤ ، والمحرر الوجيز ٣٢٥/٣ ، والدر المصون ٢٨٩/٢ ، ومفاتيح الغيب ٢٠٥/١٦ .

(٣)الكشف ١ / ٣٧٣ .

(٤)البيان ٢٩٥٥٨/١ .

(٥)المحرر الوجيز ٣٢٥/٣٨ ، ٢٨٣/٨ .

(٦)اتحاف فضلاء البشر ٢٨٩/١ .

(٧)مغنى اللبيب ٢ / ٣٥٤ .

وممن أشار إلى هذه الدلالة أبو على [١]، وابن عطية [٢]، والرازى [٣]، والبيضاوي [٤]وأبو السعود [٥] وغيرهم .

وتحليل أبو على السابق لم يمنع ثعلباً . أحمد بن يحي من التساؤل . فيما نقله مكي . عن سر تقديم البناء للمفعول "قتلوا" حين رأى أن القراءة به "ابلغ فى مدحهم لكونهم لم يهنوا ولم يرتاعوا لقتل أصحابهم ، بل جدوا فى القتال بعد قتل أصحابهم . [٦]، وبذلك استحقوا ثناء الله تبارك وتعالى فى الآية قبلها "وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا" [٧]

وقد استلهم أبو السعود مدلول الترتيب الذى قد تومئ إليه الواو فطفق يلتمس للإيذان بعدم الفرق بينهما فى كونهما مصداقاً لكون القتال بذلاً للنفس ،... وتقديم المبنى للمفعول . فى القراءة الأخرى . لكون الشهادة عريقة فى الباب ، وإيذانا بعدم مبالاتهم بالموت فى سبيل الله بل بكونه أحب إليهم من السلامة ... [٨]

والكلام السابق يؤكد على أن المعانى تختلف بتغاير القراءات تقديماً وتأخيراً ، وهذا أمر لا ينكره امرؤ ينعم النظر فى أبلغ الكلام ، إذ إن ترتيب ألفاظه فى الذكر – كما قال الإمام عبد القاهر إنما يتأتى على حسب ترتيب المعانى فى النفس [٩]، وأن ما تقدم من الكلام فتقديمه فى اللسان على

(١)الحجة ٢ / ٥٩ ، ٣٤٢ .
(٢)المحرر الوجيز ٥٥٨/١ .
(٣)التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ١٥١/٩.
(٤)أنوار التنزيل ٩٣/٣ .
(٥)إرشاد العقل السليم ٢ / ١٣٤ .
(٦)الكشف ٣٧٣/١ ، ويراجع حجة القراءات / ١٨٧ . ٣٢٥ .
(٧)آل عمران / ١٤٦ .
(٨)إرشاد العقل السليم ٦٠٨/٢ ، ويراجع حاشية الشهاب ٢٦٨/٤ .
(٩)دلائل الإعجاز / ٤٩ .

حسب تقدم المعانى فى الجنان ، والمعانى تتقدم بأحد خمسة أشياء : إما بالزمان ، وإما بالطبع ، وإما بالرتبة ، وإما بالفضل والكمال ، فإذا سبق معنى من المعانى إلى الخلد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة أو بأكثرها سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق ، وكان ترتب الألفاظ بحسب ذلك . (١)

وهكذا يمكن القول بأن تغاير القراءات ، وما لاحظه المحللون من منهج القرآن فى العطف بالواو هنا ، تلك الملاحظة التى لم تقف عند حدود الموافقة ، بل تجاوزتها إلى استشراف الوجهة البلاغية التى يستدعيها سياق المقدم فى الذكر وكيف أن له حظاً وفضلاً على المؤخر ، فإذا ما تغايرت قراءاته كان لكل وجه ما يناسبه من المعنى ، ونتج عن هذا إيثار القارئ الوجه الذى يراه ملائما للنسق والسياق بالإضافة إلى اتباع روايته وموقفه فى القراءة به .

المطلب الثاني : تغاير الأسلوب بين الخبروالإنشاء وأثره فى تنوع المعنى.

الأسلوب كما تواضع عليه المتأدبون وعلماء العربية هو : طريقة الأداء أو طريقة التعبير التى يسلكها الأديب لتصوير ما فى نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية . أو هو المذهب الكلامي الذى انفرد به المتكلم فى تأدية معانيه ومقاصده من كلامه ، أو هو "طابع الكلام أو فنه انفرد به المتكلم كذلك . (٢)

وأسلوب القرآن الكريم هو طريقته التى انفرد بها فى تأليف كلامه ، واختيار ألفاظه ، ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوبه الخاص ، وأساليب المتكلمين وطرائقهم فى عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد

(١)نتائج الفكر فى النحو للسهيلى / ٢٦٧ .
(٢)مناهل العرفان فى علوم القرآن ٢ / ٣٠٣ .

أشخاصهم ، بل تتعدد فى الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التى يتناولها ، والفنون التى يعالجها. [١]

ويقر دارسوا الأساليب بالتميز فى الخصائص وهم يدرسون أسلوب القرآن ، لأنه أسلوب فطري ، للغة فطرية ، وعقيدة فطرية ، وما كان فطرياً فهو بسيط بساطة الطبيعة ، وبالفطرة والبساطة نفسيهما تحلى القرآن وأسلوبه بصفة الإعجاز ، فانبرى جمع من جهابذة العلماء لإبراز معالم إعجازه بشكل فنى رائع ... [٢]

ومن الاعتناء بالقرآن وأسلوبه يتفرع جانب ذو أهمية هو الدراسات الخاصة بالقراءات القرآنية . متواترها وشاذها . وتنوع الأسلوب فيهاوالتركيب عن صفته ، الأمر الذى يؤدى إلى تغاير الأسلوب وتغاير الدلالات ، فهذه خبرية ، وتلك إنشائية ، وهذا التنوع فى الأسلوب يضفى . بلا شك . على معنى الآية دلالة لا تكون فيها بدونه .

مفهوم الخبر والإنشاء :

استقر البلاغيون على تقسيم الكلام من حيث لفظه وارتباطه بقصد المتكلم ومقتضى الحال إلى ضربين هما : الخبر والإنشاء . [٣]

أما الخبر فقد اختلف مدلول مصطلحه اختلافه فى تراثنا العربى فقد يطلق ويراد به تارة ما عرف فى مصطلح النحاة بالمسند الذى تتم به الفائدة فى الجملة الاسمية ، وقد يطلق ويراد به ما هو قسم أساليب الاستفهام الأمر والنهي ... إلخ

وقد اختلف العلماء فى حد الخبر ، فقيل لا يُحده لعسره ، وقيل لأنه ضروري، لأن الإنسان يفرق بين الخبر والإنشاء ضرورة ، والأكثر على

(١)السابق نفسه .

(٢)الإعجاز الفنى فى القرآن عمر السلامى / ٢٢ .

(٣)ينظر أدب الكاتب لابن قتيبة / ٧، والاقتضاب فى شرح أدب الكاتب لابن السيد البصليوسى/ ٥٨. ٥٩ .

حده، فقالوا : الخبر هو الكلام الذى يدخله الصدق والكذب [١]، وقيل : الذى يدخله التصديق والتكذيب " ، أو هو : كلام يفيد بنفسه نسبه ، وقيل هو : الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور إلى أمر من الأمور نفياً أو إثباتاً [٢]وقيل غير ذلك . [٣]

أما الإنشاء فهو ما احتمل الصدق أو الكذب لذاته .... [٤] أو هو ما لا يحتمل الصدق ولا الكذب ، أو ما لا يشترط أن يكون له نسبة فى الخارج تصدقه أو تكذبه . [٥]

وأسلوب الخبر أو الإخبار [٦]هو القاسم المشترك لغيره من أساليب الإنشاء والتي منها الاستفهام ، وهو أكثرها تواردا ثم يليه فى ذلك الأمر والنهي .

والناظر فى بلاغة الكلام يدرك بداهة أن لكل من هذه الأساليب مقاماً يقتضيه ، ويتأكد لديه أن تغاير طرائق التعبير فى الآية الواحدة بين أسلوب وآخر . تبعاً للقراءات المتواترة . وكذا الشاذة . كان مما استرعى نظر العلماء منذ محاولاتهم الباكرة ، فطفقوا يتساءلون عن السر ويعللون له بأوجه عديدة ، وأبرزوا مقامات الخطاب وتصوير حالات المخاطبين ، مدركين فى الوقت نفسه تلك المعاني الثانوية التي تخرج إليها هذه الأساليب عن أصل مرادها .

ويمكن تصنيف ماورد من قراءات علي هذا التغاير إلي :

---

(١)يستثنى من ذلك خبر الله تعالى فإنه لا يكون إلا صادقاً قال تعالى " وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم" سورة الأنعام / ١١٥ .

(٢)ينظر مفتاح العلوم/ ٧١ . ٧٢ .

(٣)ينظر البرهان فى علوم القرآن ٣١٧/٢ .

(٤)الإيضاح فى علوم البلاغة للقزويني / ١٣٥ .

(٥)السابق.

(٦)ينظر التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية د. أحمد سعد محمد / ٢١١ .

أ- تغاير أسلوب القراءات بين الإخبار والاستفهام ودلالته.

تباينت رؤى موجهى القراءات فى هذا الجانب تبعاً لتغاير نظرتهم فى هذا المقام ، وكذا السياق الذى وردت فيه القراءات ، فتارة يختارون أحد الوجهين فى بعض المواضع لتواتره وشيوعه فى القراءة ، ثم يلتمسون له وجهاً فى المعنى يناسب السياق الوارد فيه ، وتارة أخرى يرون أن السياق يحتمل تغاير معنى وجهيها ، ويحاولون هنا وهناك التوفيق بين معنى الوجهين بضرب من التأويل والتقدير ، فيشيرون مثلاً إلى أن لفظ الإخبار بشيء بمعنى الاستفهام ، أو أن لفظ الاستفهام يحمل فى طياته معنى الإخبار .

ويرى الباحث أن مثل هذه الرؤى تمثل محاولات أو اجتهادات تتخذ من استقرار تراكيب اللغة داخل سياقها وسيلة إلى توجيه القراءة والإبانة عن معانيها وأغراضها اويتضح ذلك فيما يلى :

- قوله تعالى "ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم" (١)

قرأ ابن كثير "أن يؤتى" بهمزتين مفتوحتين على الاستفهام . وهو على أصله فى التسهيل بين بين دون إدخال وقرأ الباقون بهمزة واحدة على الإخبار . (٢)

أما قراءة ابن كثيرة بهمزتين مفتوحتين مع التسهيل فعلى الاستفهام وفيها وجهان :

أولهما : أن قوله "أن يؤتى" من قوله تعالى لنبيه ، على أنه خطاب لليهود ، ويكون قول اليهود قد تم عند قوله تعالى "إلا لمن تبع دينكم" ، والاستفهام هنا معناه : الإنكار عليهم ، والتقرير والتوبيخ والاستفهام الذى

(١)آل عمران/ ٧٣ .
(٢)ينظر النشر ١ / ٣٦٥ . ٣٦٦ ، وتقريب النشر / ٢٣ .

معناه الإنكار مثبت من وحي المعنى ، أى المخافة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم فلم ذلك وقد فعلتموه [١]، والمراد بذلك : قولهم السابق "ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم"،و "إن الهدى هدى الله" اعتراض بينهما : والاستفهام يؤكد الإنكار الذى قالوه بأنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتوا من العلم والحكمة وغير ذلك من الفضائل ، وكأنهم يريدون أن يقولوا : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أتقرون أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم". [٢]

والوجهان السابقان هما حصيلة دلالات القراءات هنا ، وما لوحظ من أثر تغاير القراءة مع النسق الوارد فيه ، ذلك الذى يثير تغايراً آخر فى متعلق الخطاب فى الآية الكريمة ، ولذا رأينا فريق من لموجهين يرون أن دلالة الإخبار والاستفهام على التوبيخ والإنكار ملتبسة بالنية فى صدرها، فهذا هو أبو على الفارسي يستعمل فكره المستتير فى السياق القرآني ويدرك بثاقب نظره أن : مثل هذا فى المعنى فى قراءة ابن كثير قوله : وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون" [٣]، فوبخ بعضهم بعضاً بالحديث بما علموه من أمر النبي . صلى الله عليه وسلم . وعرفوه من صفته ، فهذه الآية فى معنى قراءة ابن كثير ، ولعله اعتبرها فى قراءته ، والاستفهام على قوله تقرير وتوبيخ ... [٤]

وفى حين يربط الفارسي بين وجه الاستفهام هنا والساق القرآني فى آية أخرى "وإذا خلا..." نجد مكى وغيره يلتمس للاستفهام وجهاً معتبراً من سياق الآية نفسها ويرى أن لفظ الاستفهام : ليؤكد الإنكار الذى قالوه : بأنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتوا : لأن علماء اليهود قالت لعامتهم : لا تؤمنوا إلا لمن

(١)البحر المحيط ٢/٤٩٤.
(٢)الكشف ١ / ٣٧ . ٣٤٨ .
(٣)البقرة / ٧٦ .
(٤)الحجة لأبى على ٣/٥٦ ، ويراجع مشكل إعراب القرآن ١/١٦٣ . ١٦٤ ، وإعراب القراءات السبع ١/ ١١٤.

تبع دينكم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ... " [١]وهذا المعنى أكدته قراءة الأعمش وغيره "أن يؤتى" بكسر الهمزة على أنها نافية [٢]أى على معنى النفى والتصميم . ويضيف الزمخشري وغيره إلى ما سبق رؤية أخرى أملاها عليه لفظ الاستفهام فى حق الآية ، فقائل : "أن يؤتى" متصل بمقول الرسول . صلى الله عليه وسلم "قل إن الهدى هدى الله" على معنى : أى ما بكم من الحسد والبغي . أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب ، دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم ، والدليل على قراءة ابن كثير " أأن يؤتى" بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ . [٣]فيتوجه بذلك المعنى الحاصل من الاستفهام إلى تلك الطائفة التى زعمت ما زعمت حسدًا وبغياً ، أو إليهم جميعاً بعد ما كان فى الوجه الأول متوجهاً من علماء اليهود إلى عامتهم.

وأما قراءة الباقين بهمزة واحدة على الإخبار ففيها وجهان أيضاً كالقراءة السابقة :

أولهما : أن الكلام قد تم عند قوله تعالى "إلا لمن تبع دينكم" على أن المعنى : قل يا محمد لأولئك اليهود الذين قالوا ما قالوا : إن الهدى هدى الله لا ما رمتم من الخداع بتلك المقالة وذلك الفعل لمخافة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم". [٤]

ثانيهما: أن قوله تعالى " ولا تؤمنوا" متعلق بقوله " أن يؤتى" ، وما بينهما اعتراض أى: ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم أراد : أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا

(١)الكشف ١ / ٣٤٧ ، ويراجع المحرر الوجيز ١٢٦/٣ ، وإرشاد العقل السليم ٥٠١/١ . ٥٠٢ .
(٢)ينظر المحتسب ١٦٣/١ ، والإتحاف ٤٨٠/١ .
(٣)الكشاف ١ / ٣٧٤ ، البحر المحيط ٤٩٤/٢ ، والفتوحات الإلهية ٢٨٧/١ .
(٤)البحر المحيط ٤٩٤/٢ .

يزيدهم ثباتاً ، ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام. [١]وهكذا يمكن القول بأن هناك اتفاق فى المعنى بين القراءتين مع اختلاف الأسلوب بينهما فهو على قراءة ابن كثير إنشائي وفى الثانية – قراءة الباقين – خبري ويربط مكى بينهما فبينما يعلل لقراءة ابن كثير بـ أن النفى الأول دل على إنكارهم فى قولهم : "ولا تؤمنوا" يرى أن الاختيار القراءة بالإخبار : لأن الجماعة عليه ، ولأن المعنى فى الإنكار يقوم بغير زيادة ألف – الهمزة – لأن "لا" تغنى عن الألف [٢]، ومن ثم أمكن حمل قراءة الإخبار كما قال الزمخشري [٣]وأبو حيان [٤]والرازي [٥] على الاستفهام ، ومثل هذا يدل على أن القرآن يؤيد بعضه بعضاً ، وإن تباينت القراءتان تركيبياً لأنهما تلاقيتا تفسيرياً .

ومما يتصل بما نحن فيه ما اجتمع فيه استفهامات وهو المعروف بالاستفهام المكرر ذلك الذى تتغاير القراءات فيه فيقرأ البعض بالاستفهام فيهما ويكتفى البعض الاستفهام فى الأول دون الثانى ، وآخرون بالعكس ومن ذلك :

- قوله تعالى "وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد"[٦]

وقوله تعالى "وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون" [٧]

قرأ ابن عامر وأبو جعفر الآية الأولى هنا بالإخبار فى الأول والاستفهام فى الثانى ، وقرأ نافع والكسائى ويعقوب بالاستفهام فى الأول

(١)الكشاف ٤٣٧/١ .
(٢)الكشف ١ / ٣٤٨ .
(٣)الكشاف ١ / ٤٣٧ .
(٤)البحر المحيط ٢ / ٤٩٤ .
(٥)التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ١٠٦/٨ –١٠٧ ،
(٦)الرعد / ٥ .
(٧)الواقعة / ٤٧ .

والإخبار فى الثانى ، وقرأ الباقون بالاستفهام فى الأول والثانى ، وأما الآية الثانية فقرأ نافع والكسائى وأبو جعفر ويعقوب بالاستفهام فى الأول والإخبار فى الثانى ، وقرأ الباقون بالاستفهام فى الأول و الثانى. (١)

أما من قرأ بهمزتين على الاستفهام فى الموضعين أى استفهم فى الأول والثانى من الآيتين هنا وكذا نظائرهما التسع الباقية فعلى أنه أتى بالكلام على أصله فى التقرير والإنكار أو التوبيخ بلفظ الاستفهام على نحو ما ذكر قريبا ، وفيه معنى المبالغة والتوكيد ، فأكد بالاستفهام هذه المعانى ، وزاده توكيداً بإعادة لفظ الاستفهام فى الثانى ، فأجراهما مجرى واحد (٢)أى أن الجمع بين الاستفهامين جاء الغرض منه قصد المبالغة فى الإنكار (٣)، والتوبيخ والتقرير ، وأما من قرأ بالإخبار فى أحدهما . الأول أو الثانى . وعكس فى الآخر فعلى "أنه استغنى بلفظ الاستفهام فى أحدهما عن الاخر ، إذ دلالة الأول على الثانى كدلالة الثانى على الأول ، وأيضاً فإن ما بعد الاستفهام الثانى – غالباً – تفسير للعامل الأول فى "إذا" التى دخل عليها حرف الاستفهام فاستغنى عن الاستفهام فى الثانى بالأول (٤)، وعليه يكون الغرض من الإخبار فى أحدهما والاستفهام فى الآخر حصول المقصود لأن كل جملة مرتبطة بالأخرى فإذا أنكر فى إحداهما حصل الإنكار فى الأخرى . (٥)

ولنقف مع متجه علماء التوجيه للتفريق بين أوجه القراءة بالإخبار والاستفهام حيث وجدنا ثمة رؤيتان لعلماء التوجيه يمكن إيجازهما فيما يأتى :

(١)تقريب النشر / ٢٥ . ٢٦ .
(٢)الكشف ٢ / ٢١ .
(٣)الفتوحات الإلهية ٤٩١/٢ .
(٤)الكشف ٢ / ٢١ .
(٥)الفتوحات الإلهية ٢ / ٤٩١ .

الأولى : تفرد بها أبو زرعة حين فرق بين أوجه القراءة بالإخبار والاستفهام ، ثم راح يلتمس لكل اختيار حجته ، فكان حجة من قرأ الأول فى الآية الأولى هنا بالإخبار أن : الاستفهام منهم على إحيائهم بعد الممات ، ولم يستفهموا فى كونهم تراباً ؛ لأنهم كانوا يعلمون أنهم يصيرون تراباً وما كانوا ينكرون ، وإنما أنكروا البعث والنشور ، فيجب على هذا أن يكون موضع الاستفهام فى الكلمة الثانية فى قوله " أءنا لفى خلق جديد " لا الأولى ، وذهب كذلك إلى أن حجة من استفهم فى الأول : أن الاستفهام دخل فى أول الكلام أحاط بأخره .. وحجة أخرى أنه : لما كان أحد الاستفهامين علة للآخر كان المعنى فى أحدهما ، وكان الآخر علة له يقع لوقوعه ويرتفع بارتفاعه .. وكذلك كونهم تراباً وموتهم علة لإحيائهم ورجوعهم خلقاً جديداً ، فلما كان ذلك كذلك جعل الاستفهام لما هو سبب للإحياء وهو الموت والتراب .

أما من قرأ بالاستفهامين معا فقد أعاده : فى موضعه الذى هو فائدة السامعين فى استفهامهم ، والعرب إذا بدؤوا بحرف قبل الموضع الذى أرادوا إيقاعه فيه أعادوه فى موضعه ... وقد قيل : إن الاستفهام الأول رد على كلام محذوف ، كأنهم قالوا لهم : إنكم مبعوثون بعد الموت " فردوا الاستفهام وقالوا " أئذا كنا تراباً؟" [١]

ويرى الباحث أن هذه الرؤية . مع وجاهتها . قد شغلت نفسها بتصيد علل الاختيار والتفريق الوهمي بينها ، وأغفلت عنصر السياق الذى يشعرنا بمفهوم الاستفهام الذى يدور حسبما يشير إليه مقام الخطاب حول معانى الإنكار ، والاستبعاد والسخرية ممن لا يعتقد البعث والنشور بعد الموت والفناء . [٢]

(١)حجة القراءات / ٣٧٠ . ٣٧٢

(٢) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية / ٢٣٠ . ٢٣١ .

الثانية : وهى رؤية جل علماء التوجيه ، وأجملها مكى حين ذهب إلى أن حجة : من استفهم فى الأول والثانى أنه أتى بالكلام على أصله فى التقرير والإنكار ، أو التوبيخ بلفظ الاستفهام ، ففيه معنى المبالغة والتوكيد ، فأكد بالاستفهام هذه المعانى ، وزاده توكيداً بإعادة لفظ الاستفهام فى الثانى ، فأجراهما مجرى واحد ، وحجة من أخبر فى أحدهما واستفهم فى الآخر ، أنه استغنى بلفظ الاستفهام فى أحدهما عن الآخر ، إذ دلالة الأول على الثانى كدلالة الثانى على الأول ، وأيضاً دخل عليها حرف الاستفهام ، فاستغنى عن الاستفهام فى الثانى بالأول . [١]

وهذه الرؤية لاحظت ما أغفلته الرؤية الأولى ، وقريب من هذا المتجه فضلاً عن أنه يؤكد ما ذهب إليه ابن جنى فى توجيه الآية الثانية هنا حيث جعل : مخرج هذا منهم على الهُزْء ؛ وهذا كما تقول لمن تهزأ به : إذا نظرت إلى مت منك خوفا ، وإذا سألت جمدت لى بحرا ، أى : الأمر بخلاف ذلك، وإنما أتولد هازئا ، ويدل على هذا شاهد الحال حينئذ ، ولولا شهود الحال لكان حقيقة لا عبثاً ، فكأنه قال : إئذا متنا وكنا ترابا بعثنا ، ودل قوله : "أءنا لمبعوثون" على بعثنا [٢]وكأنى بابن جنى يربط شاهد الحال أى سياق الآية ومقامها الذى يشي بمعنى الإنكار والهزء والسخرية ... إلخ تلك المعانى التى لا نشك أن القراء . علاوة على اتباعهم الأثر – قد أدركوها إدراكاً تاماً واختاروا الأنسب فى تصوير هذه المعانى ، إما إخبار وإما استفهاما ، اتكالاً على أن قرائن الحال وطريقة أداء الآية عند تلاوته تشعرنا بهذه المعانى بل تنقلها إلينا كاملة غير منقوصة .

(١)الكشف ٢ / ٢١ . ، ويراجع المحرر الوجيز ١ / ١٢ ، والبحر المحيط ٤ / ٣٣٤ .
(٢)المحتسب ٢ / ٣٠٩ .

وصفوة القول هنا أن :

- المعنى بين القراءات هنا متفق لوضوح معنى التقرير والتوبيخ والإنكار ، إلا أن تكرير الاستفهام أضاف معنى المبالغة فى توكيد التقرير والتوبيخ أو الإنكار .
- أن الذى صوغ للعلماء القراءة بالإخبار والاستفهام هنا فى غيرها الكثير أن الهمزة . كما هو معلوم من أهمها جواز حذفها إذا دل على ذلك دليل من المقال أو المقام .
- أن الدليل الذى قاد القدماء هنا فاستصحبوه ونصوا عليه هو نسق الآي فى مقامها وسياقها القرآني ، وكذا أثر طرائق أداء الآي عند التلاوة فى المعنى واختلافه .

وهذا الذى أدركوه وأشاروا إليه أحياناً [١] ، هو ما اصطلح المحدثون على تسميته باسم التنغيم الذى يقوم فى الكلام المنطوق مقام علامات الترقيم فى الكلام المكتوب . [٢]

ب–تغاير أسلوب القراءات بين الخبر والأمر ودلالته :

سبق أن الخبر والإنشاء قالبان متمايزان من التعبير لكل منهما وظيفته الدلالية الخاصة ، ومن أنواع الإنشاء الطلبى أسلوب الأمر ، والذى يأتى لغرض أصلي هو : طلب الفعل على وجه الاستعلاء ، من الأعلى للدنى كقوله تعالى "عليكم أنفسكم" [٣]وقوله " وبالوالدين إحساناً" [٤]

وللأمر أربع صيغ : فعل الأمر نحو "وأقم الصلاة" [٥]

(١)ينظر الخصائص ٢ / ٣٧٠ . ٣٧١ ، والأصول البلاغية فى كتاب سيبويه / ٣٤٦ .

(٢)ينظر دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس / ٤٧ ، ومن وظائف الصوت اللغوي د. أحمد كشك / ١١٠ ، والغة العربية معناها ومبناها / ٢٢٧ . ٢٢٨ .

(٣)المائدة / ١٠٥

(٤)النساء / ٣٦ .

(٥)هود / ١١٤ .

اسم فعل الأمر نحو "عليكم أنفسكم" [١]

المضارع المقترن بلام الأمر نحو "لتصبر على مر الزمان"

المصدر الغائب عن المر نحو : صبراً على البأساء .

وقد تستعمل صيغه فى غير هذا المعنى – بلاغة ... مجازاً منها : الدعاء ،والالتماس ، والنصح ، والإرشاد ... إلخ [٢]

ويتوارد أسلوب الأمر الذى يقاسم الإخبار فى القراءات بمعظم صيغه اللغوية الأربعة المعهودة ، أما التوجيه اللغوي لأوجه التغاير بين الأسلوبين ، فيكاد ينحصر فى مظهرين : أولهما : ما احتمل سياقه ومقامه تغاير الوجهين فيحمل كل أسلوب على ما يناسبه من المعنى .

ثانيهما : ما حمل وجه الإخبار فيه على معنى الأمر بأن اتخذت القراءة بلفظ الأمر تحقيقا أو تقديراً وليجة للتدليل عليه . ويشار هنا إلى أن هذين الأسلوبين – الخبر والأمر – قد يتبادلان موقعيهما ، أى أن كلا منهما قد يقع موقع الآخر مؤدياً وظيفته .

و فيما يلى نماذج لقراءات تحققت فيها تلك الظاهرة.

- قوله تعالى "انطلقوا على ما كنتم به تكذبون . انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب" [٣]

قرأ يعقوب من رواية رويس "انطلقوا إلى ظل" بفتح اللام وقرأ الباقون بكسرها [٤]

انطلق فلان إذا مر متخلفا [٥]، وانطلق : ذهب .. وانطلق به : ذهب[٦] أما قراءة يعقوب فى رواية رويس "انطلقوا" بفتح اللام فعلى أنه فعل

(١)المائدة/ ١٠٥

(٢)علم المعانى فى الموروث البلاغي تأصيل وتقييم د. حسن طلب / ٩٩ ، وقاموس قواعد البلاغة لمسعد الهواري / ١٠٠ – ١٠١ .

(٣)المرسلات / ٢٩ . ٣٠ .

(٤)التذكرة ٦١٠/٢ ،

(٥)المفردات للأصفهاني / ٣٠٦ .

(٦)المعجم الوسيط / طلق .

ماض ، وهو من الله حكاية حال المكذبين : كأنهم لما أمروا امتثلوا فانطلقوا إذ لا يمكنهم التأخير ، إذ صاروا مضطرين إلى الانطلاق إلى ظل ذى ثلاث شعب . [١]، وهذا تعبير بالماضى عن المستقبل لتحقق وقوعه .

أما قراءة الباقين "انطلقوا" بكسر اللام فعلى أنه فعل أمر بمعنى : اذهبوا ، وهو أمر من الله للمكذبين ، وهو إما تكرار للأمر السابق وهو "انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون" وإما بيان للمنطلق [٢]

وقد جاءت قراءة الباقين على لفظ الماضى : إخبارا بعد الأمر عن عملهم بموجبه ؛ لأنهم مضطرون إليه لا يستطيعون امتناعا منه [٣]، وفى ذلك إشارة إلى تحقق الفعل توًّا بعد الأمر به ؛ إذ ليس لهؤلاء خيرة من أمرهم ولكنهم مضطرون طوعاً أو كرهاً ، وهكذا تتغاير القراءات أو لنقل تتكامل بتعاقب الأسلوبين عليها ؛ لتصور لنا الجوانب التعبيرية التى تم بها الحدث أو ألقى بها الكلام .

ويؤكد البحث هنا علي تكامل الوجهين معاً للدلالة على استقصاء مقتضيات الخطاب ، ومقاماته مع الاقتصاد فى التعبير عنها ، وهذه سمة أسلوبية غالبة يستطيع المرء أن يتلمسها بيسر فى غير قليل من القراءات القرآنية ا.

- قوله تعالى " فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق". [٤]

قرأ يعقوب : "ربنا" بالرفع ، و "بَاعَد" بالألف وفتح العين والدال ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام "ربنا" بالنصب ، و"باعد" بالألف والتخفيف فى العين. [٥]

---

(١)البحر المحيط ٨ / ٤٠٦ .
(٢)البحر المحيط ٨ / ٤٠٦ .
(٣)ينظر : الكشاف ٦٨/٤ ، والبحر المحيط ٤٠٦/٨ ، وإرشاد العقل السليم ٤٤٥/٥ .
(٤)سبأ / ١٩ .
(٥)السبعة / ٥٢٩ ، والتذكرة ٥٠٦/٢ . ٥٠٧ ، والنشر ٣٥٠/٢.

البعد : ضد القرب ، وليس بينهما حد محدود ، وإنما بحسب اعتبار المكان بغيره ، يقال ذلك فى المحسوس وهو الأكثر [١] ، وأبعد : جاوز الحد، يقال : ابعد فى السوْم : اشتط ، وأبعد فى السفر ... وأبعد فى لاشيء: جعله بعيدًا ، وباعده : أبعده ، وباعد بين الشيئين : فرق بينهما .. وبعده : أبعده [٢] أما قراءة يعقوب " بَاعَد " بالألف وفتح العين والدال فعلى أنه فعل ماضى على "فاعل" بمعنى "فعل" وفيه دلالة على تكرير المباعدة "وربنا" بالرفع مبتدأ مقدم ، فالقوم أخبروا عن أنفسهم بأن الله باعد بينهم وبين مسايرهم على قصرها ودونها لفرط تنعمهم [٣]، أو أن الكلام على الشكوى من بعضهم إلى بعض مما حل بهم من بعد الأسفار ، "وبين" ظرف ، والجملة على هذه القراءة خبرية [٤]أما قراءة الباقين " بعّد " لابن كثير وأبى عمرو وهشام ، والباقين "بَاعَد" فعلى أن قراءة ابن كثير وصاحبيه فعل أمر من "بعد" بتشديد العين للدلالة على التكرير . [٥]

وقراءة الباقين "باعد" فعل أمر من "بَاعَد" و "ربنا" على القراءتين بالنصب على النداء ... و "بين" مفعول به لأنهما فعلان متعديان . [٦]

والفعلان بصيغة الأمر ، والمراد به الدعاء ، لأن القوم دعوا على أنفسهم إذ قالوا يا ربنا باعد أو بعّد بين أسفارنا ، فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ، ونتزود معنا فيها الأزواد ، وفى هذا

(١)المفردات للأصفهاني / بعد .
(٢)المعجم الوسيط / بعد .
(٣)الكشاف ٢٨٦/٣ ،.
(٤)البحر المحيط ٧ / ٢٧٣ .
(٥)الحجة لابن خالويه / ٢٩٤ .
(٦)البحر المحيط ٢٧٢/٧ –٢٧٣ .

دلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم ، وجهلهم بمقدار العافية وقد عجل لهم ربهم الإجابة [١]، والجملة على القراءتين إنشائية.

ويحدثنا سياق الآيات عن موقف أهل سبأ الذين بدلوا نعم ربهم عليهم كفراً وبطراً ، حتى إذا ما تحققت سنة الله فيهم أخذوا فى التبرم والشكوى ، وقد نقلت الآية التى بين أيدينا طرفاً من ذلك الموقف بوجهين من وجوه القراءة، وجاء اختيار الجمهور بالنداء والطلب على سبيل الدعاء على أنهم : بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية ، فطلبوا الكد والتعب ... وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد ، فعجل الله لهم الإجابة. [٢]

واختار يعقوب الوجه الآخر على الإخبار ، إما دليلاً على إفراطهم فى التنعم : وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفهم ، كأنهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتمازنون عليه [٣]وإما تصويراً لحالهم من شكوى بعضهم إلى بعض مما حل بهم من بعد الأسفار [٤]، حينما أجاب الله طلبهم .

قال ابن قتيبة : المعنيان وإن اختلفا صحيحان ؛ لأن أهل سبأ سألوا الله أن يفرقهم فى البلاد فقالوا : "ربنا باعد...." فلما فرقهم الله فى البلاد وباعد بين أسفارهم قالوا : ربنا باعد بين أسفارنا" وأجابنا إلى ما سألنا فحكى الله سبحانه عنهم بالمعنيين فى غرضين [٥]

(١) ينظر الكشاف ٢٨٦/٣ ، والبحر المحيط ٢٧٢/٧ .
(٢)الكشاف ٢٨٦/٣ .
(٣) ينظر الكشاف ٢٨٦/٣ وما بعدها ، ويراجع جامع البيان ٢٢ / ٥٨ ، ومعانى القرآن للنحاس ٤١١/٥ – ٤١٢ .
(٤)البحر المحيط ٢٧٣/٧ ، وإرشاد العقل ا لسليم ٤٥٣/٤ .
(٥)تأويل مشكل القرآن / ٣٣ ، ويراجع إعراب القراءات السبع وعللها ٢١٨/٢ . ٢١٩ .

وهكذا يستوعب النسق القرآني الطرائق التعبيرية التى تم بها الخطاب مستقصياً مقتضياته مقتصدًا فى التعبير عنها بأبلغ ما يكون الاقتصاد ؛ إذ قامت كل قراءة بتغاير بسيط فى حركة البناء أو الإعراب مقام آية كاملة فى الإعراب عن مضمونها ، وجاءت قراءة يعقوب والقراءتين الأخيرتين متباينتان من الوجهتين الصرفية والتفسيرية ، وترادفت القراءتين الأخيرتين ، هذا وقد أدرك العلماء أن فى التبادل بين القراءات هنا دليلاً آخر يضاف إلى دلائل إعجازه ، وما فتئوا يتداركونه حيثما يعن لهم فى مواضعه من آي الذكر الحكيم .

جـ . تغاير أسلوب القراءات بين أسلوبي الخبر والنهي ودلالته .

من أنواع أسلوب الإنشاء الطلبى = أسلوب النهي . ويأتى لغرض أصلى هو : طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ، وله صيغة واحدة وهى (لا الناهية) الداخلة على المضارع [1]ومن الأغراض البلاغية للنهي : الذلة والخضوع ، والدعاء ، والنصح والإرشاد ، والالتماس ، والتمنى ، والتوبيخ ، والتهديد ... إلخ

وقد اقتصر توارد أسلوب الإخبار الذى يقاسمه أحياناً فى القراءة على صورته المنفية ، إذ كان ذلك فى معظمه عن طريق التغاير الإعرابي فى حركة الفعل بعد "لا" بين الرفع والجزم ، فترتب عليه تغاير أسلوب القراءة على ما ارتآه العلماء بين الإخبار الذى يمثله الرفع ، والنهي الذى يدل عليه غيره .

ويمكن معالجة مسلك العلماء فى تعليل هذه الظاهرة فى الإتجاهين الآتيين :

(١) قاموس قواعد البلاغة وأصول النقد والتذوق / ١٠٣ . ١٠٤ .

الأول : ما حمل وجه الإخبار فيه على معنى النهي . كذلك الذى فعلوه الأمر آنفاً . بأن اتخذت القراءة بلفظ النهي دليلاً عليه ، ويتردد فى هذا المسلك مواضع متعددة منها قوله تعالى "فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج" (١)

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالرفع والتنوين في الأولين ونصب الثالث ، وقرأ أبوجعفر بالرفع في الثلاثة، وقرأ الباقون بالنصب مع عدم التنوين في الثلاثة . (٢)

وقراءة الفتح فى الأسماء الثلاثة "فلا رفث ولا فسوق ولا جدال" أبلغ لأنها تفى بالمعنى المقصود وهو نفى جميع الرفث والفسوق والجدال ، أو نفى جميع هذا الجنس ...وقد نازع ابن العربى جمهور العلماء فى مذهبهم حينما وقف عند مدلول النفى هنا – بنصب الأسماء الثلاثة – قائلا إنه . الله سبحانه . أراد نفيه مشروعا لا موجوداً ، فإنا نجد الرفث فيه ونشاهده ، وخبر الله تعالى لا يجوز أن يقع بخلاف مخبره ، فإنما يرجع النفي إلى وجوده محسوساً كقوله تعالى "والمطلقات يتربصن بأنفسهم ثلاثة قروء (٣) معناه شرعاً لا حسا ، فإنا نجد المطلقات لا يتربصن ، فعاد النفى إلى الحكم الشرعي لا إلى الوجود الحسي ، وهذه الدقيقة هى التى فاتت العلماء فقالوا إن الخبر قد يكون بمعنى النهي ، وما وجد ذلك قط ، ولا يصح أن يوجد ، لأنهما يختلفان حقيقة ويتضادان وصفاً ... (٤)

ويرى الباحث أن ما ذهب إليه ابن العربى هنا حجة عليه لا له ، لأن حمل مثل هذا على الإخبار المحض من الله تعالى – كما قال – لا يجوز

---

(١) البقرة / ١٩٧ .

(٢) التذكرة٢/٢٦٨،تقريب النشر/٩١.

(٣) البقرة / ٢٢٨ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربى ١ / ١٣٤ . ١٣٥ . ويراجع التبيان للبكرى ١٨٠/١ ، والبحر المحيط ٩١/٢ ، ١٨٥ ، والإتقان ٩٨/٢ ، ومعترك القران ٤٢٢/١ . ٤٢٣ .

أن يقع بخلاف مخبره ، فلم يبق إلا حمله على معنى النهي الذى يلزم امتثاله شرعاً ، ولا يستبعد عدم امتثاله وجوداً ، إذ كانت هذه أمور تعود إلى طبيعة المتلقين ودرجة إيمانهم ، وكم من منهيات نهانا الله عنها شرعا ولا يتمثلها بعضنا وجوداً ، غاية ما هناك أن إبراز المنهى عنه فى معرض الإخبار كان للدلالة على أنه حقيق بألا يقترف فى هذا المقام .

أماالرفع ففيه دلالة على معنى النهي ، في حين أن الفتح فيه دلالة على الإخبار بانتفاء الرفث والفسوق والجدال فى الحج .

هذا وقد رُجح مذهب أبى حيان حيث رأى أن : الرفع والبناء لا يقتضيان شيئاً من ذلك ، بل لا فرق بين الرفع والبناء فى أن ما كان فيه منفياً وأما أن الرفع يقتضى النهي والبناء يقتضى الخبر فلا ... والذى يترجح للبحثث أنها جملة صورتها صورة الخبر والمعنى على النهي ... وإنما أتى فى النهي بصورة النفي إيذاناً بأن المنهى عنه مستبعد الوقوع فى الحج حتى كأنه مما لا يوجد ومما لا يصح الإخبار عنه بأنه لا يوجد . (١)

الثانى : يوحى المسلك الثانى العلماء فى توجيه الظاهرة التى بين أيدينا بأن ثمة فارقاً فى المفهوم البلاغي الذى يترتب على كل وجه من وجهي القراءة ، يتردد فى هذا المسلك مواضع متعددة منها :

- قوله تعالى "إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم" (٢)

قرأ نافع ويعقوب "ولا تسئل" بفتح التاء وجزم اللام ، وقرأ الباقون بضم التاء وا لرفع (٣)

(١)البحر المحيط ٨٩/٢ –٩١ .
(٢)البقرة / ١١٩ .
(٣)السبعة / ١٦٩ ، والتجريد / ٢٣٢ ، والنشر ٢ ، ٢٢١ .

أما قراءة نافع ويعقوب "ولا تسئل" بفتح التاء وجزم اللام فعلى الجزم وبناء الفعل للفاعل على أن "لا" ناهية ، والنهي جار على سبيل المجاز لتفخيم ما وقع فيه أهل الكفر من العذاب ، وهى كقولك لمن قال لك : كيف حال فلان فتقول لا تسأل عنه ، أى : لا تسأل عما وقع له ، أى حل به أمر عظيم غير محصور . (١)

والجملة فى موضع الحال عطفاً على "بشيراً ونذيراً" ، والمعنى : إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً غير سائل عنهم ، لأن علم الله بكفرهم بعد إنذارهم مغن عن سؤاله عنهم . (٢)، والأسلوب كما نرى إنشائي .

أما قراءة الباقين "ولا تسئل" بضم الفاء والرفع فعلى رفع الفعل وبنائه للمفعول على أن "لا " نافية والجملة مستأنفة وهو الأظهر ، والمعنى : لا تسأل يا محمد عن الكفار ما لهم لا يؤمنوا لأن ذلك ليس إليك إن عليك إلا البلاغ (٣)، أو لا نسألك عن كفر من كفر (٤)

والجملة . كما يرى البعض . فى موضع الحال عطفا على "بشيراً ونذيرا" ، والمعنى : إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وغير مسئول ، أى لا يكون مؤاخذاً بكف رمن كفر بعد التبشير والإنذار (٥)والأسلوب على هذه القراءة خبري .

والمتأمل فى التوجيه السابق يجد أنهم قد قدروا لوجه الرفع فى قراءة الباقين تقديرين من الإعراب :

الأول : أن الجملة فى موضع الحال فيكون مثل ما عطف عليه .

(١)إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤ذ١ .
(٢)الجامع لأحكام القرآأن ١ / ٤٧٩ .
(٣)إتحاف فضلاء البشر ١ / ٤١٤ . ٤١٥ .
(٤)تفسير ابن كثير ١ / ١٦٢ .
(٥)الجامع لحكام القرآن ١ / ٤٧٩ .

الثانى : أن الجملة مستأنفة فيكون منقطعاً مما قبله ، واتخذوا ما تردد من مرويات فى مناسبة نزول الآية [١]مثابة قرائن الأحوال فى توجيه القراءة بالجزم .

قال أبو على الفارسي : ويؤكد وجهي الرفع قوله تعالى "ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء" [٢]، وقوله " ما على الرسول إلا البلاغ" [٣]، مما يجعل للفظ الخبر مزية على النهي أن الكلام الذى قبله وبعده خبر، فإذا كان أشكل بما قبله وما بعده كان أولى .

وقالوا فى وجه الجزم هو لما رويى من أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل : أى أبويه أحدث موتاً وأراد أن يستغفر له فأنزل الله الآية ، وهذا إذا ثبت معنى صحيح ...

وقد جوز أبو الحسن فى قراءة الجزم أن يكون على تعظيم الأمر ، كما يقول : لا تسلنى عن كذا ، إذا أردت تعظيم الأمر فيه ، فالمعنى أنهم فى أمر عظيم وإن كان اللفظ لفظ الأمر [٤]

وهكذا أدرك أبو علييا لفارسي وغيره أن مراعاة المشاكلة اللفظية بين أنساق التعبير فى الآية الكريمة كان وجهاً بلاغياً لقراءتها بالإخبار ، وأن هذه العلة ما لبثت أن تغايرت فى قراءتها بالنهي ، فحمل تارة على حقيقته باعتبار ما تردد فى مناسبة نزولها ، ثم حمل أخرى على معناه المجازي ، وذلك بخروجه إلى معنى التعظيم ، ما وقع فيه الكفار من العذاب ولم يفت الزمخشري أن يغتنم المدلول السابق ثم يبين عن وجهه فى : أن المستخبر يضجر أن يُجرى على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما

(١)ينظر : أسباب النزول للنسيابوري / ٢٦ – ٢٧ ، وللسيوطي / ١٧ ، وتفسير ابن كثير / ١٦٢ .
(٢)البقرة / ٢٧٢ .
(٣)المائدة / ٩٩ .
(٤)ينظر الحجة لأبى على ٢/٢١٦ – ٢١٧ ، والحجة لابن خالويه / ٨٧ ، وحجة القراءات ١١١ – ١١٢ ، والكشف ١ / ٢٦٢ .

يضجره ، أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره فلا تسأل . (١)

ومع عدم إغفال أسباب النزول التى تقوم – فى الغالب – مقام قرائن الأحوال فى تفسير آي القرآن ووجوه قراءاته ، فإن اعتداد العلماء بالسياق القرآني للآيات ههنا جعلهم يردون تلك المروية التى ذكر أبو على الفارسي طرفا منها ، وجاء تحليل أبى حيان وتعليله لذلك : أى سياق الكلام يدل على أن ذلك عائد على اليهود والنصارى ومشركي العرب الذين جحدوا نبوته وكفروا عناداً وأصروا على كفرهم ، وكذلك جاء بعده "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى " (٢)، إلا إن كان ذلك على سبيل الانقطاع من الكلام الأول ، ويكون من تلوين الخطاب وهو بعيد . (٣)

المطلب الثالث : الحذف والذكر :

قال الخطيب القزويني : المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو : تأدية أصل المراد ، بلفظ مساو له ، أو ناقص عنه واف ، أو زائد عليه لفائدة (٤)

والمقصود ب الحذف أو الإيجاز تأدية أصل المعنى بلفظ ناقص عنه، واف به . أى غير مخل ، وهو على ضربين :

الأول : إيجاز القصر وهو أن تتضمن الألفاظ القليلة معانى كثيرة من غير حذف وفى القرآن الكريم كثير من هذا اللون ، ومنه قوله تعالى "خذ

(١)ينظر : الكشاف ١ / ١٨٢ ، وتفسير الرازى / ١ / ٣٣ ، وإرشاد العقل السليم ١ / ٢٤٧ ، وفتح القدير / ١ / ١٣٥ .
(٢)البقرة / ١٢٠ .
(٣)البحر المحيط ١ / ٣٦٨ ، ويراجع إرشاد العقل السليم ٢٤٧/١ .
(٤)بغية الإيضاح ٢ / ١٢ .

العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" [١]فهذه الألفاظ وإن قلت ، فقد أنافت معانيها على الغاية ، ولم تقف على حد ونهاية. [٢]

الثانى : إيجاز الحذف : وهو التعبير عن المعانى ا لكثيرة بألفاظ قليلة، مع وجود حذف فى التراكيب لا يخل بالمعنى .

ومن صور التنويع فى بناء الجملة ظاهرة الحذف والذكر ، فكما يستشف العطاء الفنى للأسلوب من ألفاظه المنطوقة وظواهره التعبيرية يستشف عطاءه كذلك من ألفاظ غير منطوقة يوحى بها تصميم ذلك الأسلوب ، وطريقة بنائه ، أى بإسقاط أو حذف بعض عناصر التركيب اللغوي سواء أكان هذا المحذوف أحد طرفى الإسناد المسند والمسند إليه . أم بعض مكملات الجملة .

ويحقق الحذف عند البلاغيين غايتين :

أولهما : أنه وسيلة من الوسائل الفنية فى التعبير يلجأ إليها للإيحاء بما لدى المتكلم من معان وأغراض لا تتحقق إلا بهذا الأسلوب .

ثانيهما : أن فى الحذف تنشيط لخيال المتلقى ودعوى غير مباشرة له للحدس بهذا المحذوف واكتناه ما وراء حذفه من أسرار ... وهو بذلك يحقق المتعة الفنية للمتلقى ، إذ إنه ينقله من سلبية الأخذ والتلقى إلى إيجابية الحدث والتخيل .

ومن هذا المنطلق وجدنا الإمام عبد القاهر يشيد بأسلوب الحذف قائلاً: هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب المرمي شبيه بالسحر ، فأنت ترى به ترك الذكر أنصع من الذكر ، والصمت عن الإفادة

(١)الأعراف / ١٩ .
(٢)الطراز ٢ / ١٢٧ .

أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن ، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر [١]

وبديهي أن الحذف لا يجمل فى الأسلوب إلا إذا دل عليه دليل ، أى كانت هناك قرينة . حالية أو مقالية . تسعف القارئ أو السامع فى استنباط المحذوف والاهتداء إليه [٢]، أما إذا افتقد أسلوب الحذف هذا الدليل أو تلك القرينة ، فإنه يكون قبيحاً؛ لأنه يفتقد بذلك وظيفته الفنية ، بل إنه يصبح باعثاً من بواعث التعمية والغموض لا وسيلة من وسائل الإيحاء .

وينطلق البحث فى الظاهرة التى بين أيدينا هنا – الحذف والذكر – عند علماء العربية من قاعدة أساسية لديهم فى مجال بحثهم اللغوي تعرف بأصل الوضع ، هذه القاعدة التى تفترض أو تعنى بإيجاز أن التركيب اللغوي لابد أن يشمل فى أبسط صورة على طرفين طرفى الإسناد ،و الفضلة أو القيد ، فإذا ما اقتضى المقام وطبيعة الكلام الاستغناء عن شيء منها ساعده اعتبار ذلك الأصل – فى مقام الضبط والتحليل على معرفة المستغنى عنه – المحذوف – وتقديره وبيان مواضعه .

وما يلزم البحث هنا هو التأكيد على أن العلماء قد تناولوا ظاهرة الحذف والذكر وأشاروا إلى كثير من صورها المعهودة فى بحث اللغة والبلاغة ، التى ترتبت على تغاير القراءات وتوجيهها ، وقد سلكوا فى تناول هذه الظاهر مسلكين تبعاً لوجهين من وجوه القراءة هما :

الأول : ما تحقق فيه الحذف أو الذكر نصاً ، وذلك بأن تحذف إحدى القراءات ما تذكره الأخرى .

---

(١)دلائل الإعجاز / ١١١ .

(٢)القرينة المقالية هى أن تكون دليل الحذف مثلا فى سياق الكلام ، والقرينة الحالية هى أن يكون المتلقى على علم بالمحذوف بحيث يتيسر له تحديد دون مراجعة السياق ، ينظر علم المعانى فى الموروث البلاغي تأصيل وتقييم د. حسن طبل / ١٠٦ .

الثانى : ما دل تغايره الإعرابى أو التصريفي على أن ثمة محذوفاً يجوز تقديره فى الكلام جرياً على أصله فى العربية [١]

ويمكن حصر أنواع الحذف (أو أشهرها) في:

١- حذف المسند.

٢- حذف المسند إليه .

٣- حذف أحد متعلقات الفعل ، كالمفعول ، أوا لحال .. إلخ ومن صور الحذف:

١- حذف الحرف :

يشير علماء التوجيه إلى أن حذف حرف أو أكثر من حروف الكلمة قد يتجاوز – غالباً – حدود الصنعة النحوية ومستوى الصواب والخطأ إلى استشراف القيم التعبيرية التى تضيفها طرائق إلقاء الكلام وتنغيم الصوت على بلاغة الخطاب ، فضلاً عما يعكسه من التدليل على صحة هذا الحذف وعدم إلباسه . وذلك أن العرب إذا أخبرت عن الشيء غير معتبئة به ولا مقترحه عليه أسرعت فيه ، ولم تتأن على اللفظ المعبر به عنه ... فاقتصرت من جملة الكلمة على حرف منها ، تهاونا بالحال وتثاقلاً عن الإجابة واعتماد المقال . ويكفيك من ذلك . أى التدليل على أن الأصوات تابعة للمعانى – قولهم : قطع وقطّع ، وكسر وكسّر زادوا فى الصوت لزيادة المعنى واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه [٢]من ذلك تعاقب حذف التاء وإثباتها فى قوله تعالى " فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً [٣]

قرأ حمزة وحده " فا اسطّاعوا " بتشديد الطاء وقرأ الباقون بتخفيفها . [٤]

(١) يراجع ص وما بعدها .

(٢)المحتسب ٢/*٢٠٨ – ٢١١وينظر الخصائص ١ / ٣٠

(٣)الكهف / ٩٧ .

(٤)السبعة / ٤٠١ ، والتجريد / ٤٤٣ ، والنشر ٢ / ٣١٦ .

أما قراءة حمزة "فما اسطّاعوا" بتشديد الطاء فعلى معنى : استطاعوا ، وفيه جمع بين ساكنين ، وهما السين والتاء المدغمة فى الطاء [١]والوجه فى الإدغام – كما قال أبو على – لما لم يكن إلغاء حركة التاء على السين ، لئلا يحرك ما لا يتحرك . يعنى : أن سين "استفعل" لا تتحرك أدغم مع الساكن وإن لم يكن حرف لين ، وقد قرأت القراء غير حرف من هذا فى النحو ... [٢]

والجمع بين ساكنين وصلاً جائز مسموع ، ويقويه ويسوغه ، كما قال الحافظ أبو عمرو : أن الساكن الثانى لما كان اللسان عنده يرتفع عنه ، وعن المدغم ارتفاعه واحدة ، صار بمنزلة حرف متحرك ، فكأن الساكن الأول قد ولى متحركاً . [٣]

وعليه فلا يلتفت إلى من طعن فى هذه القراءة ، أو استبعدها ، أو نسب قارئها على اللحن . [٤]

أما قراءة الباقين " فما اسطاعوا" بتخفيف الطاء – بغير تاء – فعلى أن أصلها : استطاعوا ، ولكن التاء والطاء من مخرج واحد ، فحذفت التاء لاجتماعهما ، وليخف اللفظ. [٥]

والمقام هنا لاستجلاء بعض الجوانب البلاغية التى ترتبت على ظاهرة الحذف هنا لا استجلاء الجوانب الصوتية:

فالقرآن يحذف من الكلمة لغرض ، ولا يفعل ذلك لغرض ، وما ذلك إلا لأنه وقراءاته تعبير فني مقصود ، كل كلمة ، بل كل حرف إنما وضع

(١) معانى القراءات / ٢٧٨ .
(٢)الحجة لأبى على الفارسي ١٨١/٥ – ١٨٢ .
(٣)النشر ٣١٦/٢ .
(٤) ينظر دفاع السمين الحلبي عن القراءات المتواترة / ٢٠٩ . ٢١٣ .
(٥) معانى القراءات / ٢٧٨ .

لقصد [١]، ومن ذلك ما نراه من حذف التاء من الفعل "اسطاعوا" للدلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه ، وأن زمنه أقصر ، ونحو ذلك فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث ، أو يحذف منه فى مقام الإيجاز والاختصار ، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل ، فإذا كان المقام مقام إيجاز أوجز فى ذكر ا لفعل ، فاقتطع منه ، وإذا كان فى مقام التفصيل لم يقتطع من الفعل ، بل ذكره بأدنى صورة ، وتوضيح ذلك تطبيقيا على المثال الذى معنا أن حذف التاء من الفعل "اسطاعوا" ناسب أن السد الذى صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب ، وقد ذكر العلماء أن الصعود على هذا السد أيسر من إحداث نقب فيه لمرور الجيش ، فحذف من الحدث الخفيف ، فقال "فما اسطاعوا أن يظهروه" [٢]بخلاف الفعل الشاق الطويل ، فإن لم يحذف بل أعطاه أطول صيغة له فقال " وما استطاعوا له نقبا" [٣] فخفف بالحذف من الفعل الخفيف بخلاف الفعل الشاق الطويل .

ثم إنه لم كان الصعود على السد يتطلب زمنا أقصر من إحداث النقب فيه حذف من الفعل وقصر منه ليجانس النطق الزمن الذى يتطلب كل حدث.

وقد استغل ابن الزبير الغرناطى العلة السابقة فى الحذف فى الكشف عن سر هذا التغاير فى مبنى الفعلين ، فربط بين غرض الآية الذى يصور علو السد وملاسته وصلابته ، وموقف يأجوج ومأجوج منه ، فجاء أولاً بالفعل مخففا عند إرادة نفى قدرتهم على الظهور على السد والصعود فوقه ، ثم جئ بأصل الفعل مستوى الحروف عند نفى قدرتهم على نقبه وخرقه ، ولا شك أن الظهور أيسر من النقب ، والنقب أشد عليهم وأثقل ، فجئ بالفعل

(١)ينظر التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائى / ٧٢ .
(٢)الكهف / ٩٧ .
(٣)الكهف / ٩٧ .

مخففا مع الأخف ، وجئ به تاماً مستوفى مع الأثقل ، فتناسب ، ولو قدر بالعكس لما تتناسب . (١)

وهكذا وجدنا أن مثل هذه التحليلات تربط بين حذف الحرف من الكلمة أو ذكره بسياقه ومنزعة النفس ، لذا حق أن نوليها بعض الاهتمام بعدما فتق بعض علمائنا عن جانب البلاغة فيه كما سبق .

٢–حذف الفاعل وإضماره:

- قوله تعالى "بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد" (٢) قرأ الكوفيون ويعقوب " وصدوا" بضم الصاد وقرأ الباقون بفتحها .(٣)

الصد : الإعراض والصدوف (٤)، والصدود والصد قد يكون انصرافاً عن الشيء وامتناعاً وقد يكون صرفاً ومنعاً . (٥)

وجه قراءة الكوفيين ويعقوب "وصُدوا" بضم الصاد فعلى أن الفعل "صدوا" ماض مبنى للمفعول ، متعد ونائب الفاعل ضمير الذين كفروا ، أى "أضلوا (٦) ، وفاعل "الصد" هم أشراف قريش وكبراؤهم ، أى :صدهم أشراف قريش عن سبيل الله (٧)، وذهب الطبري أن المعنى على هذه القراءة : وصدهم الله عن سبيله لكفرهم (٨)

(١)ملاك التأويل ٢ / ٧٩٠ – ٧٩١ ، والبرهان فى توجيه متشابه القرآن للكرمانه / ١٧١ ، والتعبير القرآني د. فاضل السامرائى / ٧٢ .

(٢)الرعد / ٣٣ .

(٣)السبعة / ٣٥٩ ، والتجريد / ٤٠٦ ، وتقريب النشر / ١٢٩ .

(٤)معجم ألفاظ القرآن الكريم / ٣٥٠(صد) .

(٥)المفردات للأصفهاني / ٣٥٠.

(٦)معانى القراءات / ٢٣٢ . ٢٣٣ .

(٧)الكشف ٢ / ٢٢ .

(٨)جامع البيان للطبرى ١٣ / ١٦١ .

أما قراءة الباقين "وصدوا" بفتح الصاد فعلى أن الفعل "صدوا" ماض كذلك لكنه مبنى للفاعل من باب "فعل" وفى مستقبله وجهان : الأول : يصدون بضم الصاد ، وا لفعل "صد" على هذا الوجه متعدياً ، والمعنى : أنهم صدوا غيرهم عن السبيل فأضلوهم [١]، أى : منعوهم ، أو هو كما ذكر الطبري : إن المشركين هم الذين صدوا الناس عن السبيل[٢]

والثانى : "يصدون" بكسر الصاد ، والفعل "صد" على هذا الوجه : لازما ، والمعنى : أنهم صدوا بأنفسهم [٣]أى : أعرضوا وامتنعوا عن سبيل الله.

وأشار أبو على الفارسي إلى اللمحة الأسلوبية وراء حذف الفاعل هنا حين قال : ومن بنى الفعل للمفعول . قراءة الكوفيين ويعقوب . فإن فاعل الصد غواتهم والعتاة منهم فى كفرهم ، وقد يكون "صُد" على نحو ما يقولون: حُدَّ فلان عن الخير وصد عنه ، يريد أنه لم يفعل خيراً ولا مانعاً منعه [٤]

ويؤكد ابن جنى هذا الملحظ البلاغي ويشبعه تحليلاً فى غيرما موضع من محتسبه كلها تؤكد رؤيته من أن بناء الفعل للمفعول يدل على قوة العناية بالمفعول قال : فإذا ثبت بهذا كله قوة عنايتهم بالفضلة حتى ألفوا حديث الفاعل معها . حذفا . وبنوا الفعل لمفعوله فقالوا : ضُرب زيد فقد علم أن الغرض منه أن يعلم أنه منضرب وليس الغرض أن يعلم من الذى ضربه ، فإن أريد ذلك ولم يدل دليل عليه فلابد أن يذكر الفاعل فيقال : ضرب فلان زيداً : فإن لم يفعل ذلك كلف علم الغيب [٥]

(١)معانى القراءات / ٢٣٢ . ٢٣٣ ، والبحر المحيط ٥ / ٣٩٥ .
(٢)جامع البيان للطبري ١٣ / ١٦١ .
(٣)معانى القراءات / ٢٣٢ . ٢٣٣ .
(٤)الحجة لأبى على ١٠/٣ ، والبحر المحيط ٣٩٥/٥ .
(٥)المحتسب ١ / ٦٦ .

ويكرر ابن جنى هذا الملحظ الأسلوبي ليؤكد عليه حين رأى أن : الفعل إذا بنى للمفعول لم يلزم أن يكون ذلك للجهل بالفاعل ، بل ليعلم أن الفعل قد وقع به ، فيكون المعنى لا ذكر الفاعل ... (١)

ويبدو تأثر عبد القاهر الجرجاني بتحليل ابن جنى وشيخه هنا حين ردد القول بأنه : إذا أريد الإخبار بوقوع الضرب ووجوده فى الجملة من غير أن ينسب إلى فاعل أو مفعول ، أو يتعرض لبيان ذلك ، فالعبارة فيه أن يقال: كان ضربٌ أو وقع ضربُ أو وجد ضرب ، وما شاكل ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد فى الشيء . (٢)

وفى الختام يرى الباحث أن اطراد هذه الظاهرة بين البناء للفاعل والبناء للمفعول ينبئ عن أسرار بيانية وراء ضوابط الصنعة البلاغية وإجراءات الإعراب الشكلية فاستغنى عن ذكر الفاعل لأن فيه تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه . (٣)

والمعنى البلاغي قريب مما سبق فى قوله تعالى "وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا فى تباب" (٤)بفتح الصاد وضمها فى "وصد" للقراء أنفسهم فى "وصدوا"

فبعد الاستفادة من المعنى القوى السابق ذهب أبو على الفارسي فى وجه الضم "وصد" لكي يراعى المشاكلة اللفظية بين أنساق التعبير القرآني ، ليعطى قوة عناية بوقوع الفعل بالمفعول ؛ لينصرف الذهن والاهتمام إليه فيقول : من قرأ " وصُد عن السبيل" بضم الصاد فلأن الفعل مبنى للمفعول ، فجعل ما عطف عليه مثله ، والذى قبله : "وكذلك زين لفرعون سوء

(١)السابق ١ / ١٣٥ ، ١ / ١٠٤ ، ٢ / ٢٢٩ ، ٢٨٤ ، ويراجع البرهان ١٤٤/٣ .
(٢)دلائل الإعجاز / ١٥٤ .
(٣)الإعجاز البياني للقرآن / مسائل ابن الأزرق د. عائشة بنت عبد تالرحمن / ٢٤٢ .
(٤)غافر / ٣٧ .

عمله [١]، ومن قال : وصد عن السبيل المستقيم ما لإيمان عنده من ءامن على إيمانهم فى قوله "لأقطعن أيديكم وأرجلكم" [٢]، ونحو ذلك مما ادعوه لإيمانهم ، والمزين له سوء عمله . والصاد له هم طغاة أصحابه والشيطان ، كما بين ذلك فى الآية الأخرى فى قوله " وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم" [٣].. الآية [٤]

٣-حذف المفعول به :

يكاد يتفق العلماء على أن دلالة الكلام وتخفيفه ، والعلم بالمحذوف هو العلة الرئيسية التى تقف وراء حذف المفعول به ومن هؤلاء : الزمخشري [٥]وابن عطية [٦]، والعكبري [٧]، وأبو حيان [٨]وتلميذه السمين [٩]وغيرهم [١٠]، وبالغ ابن جنى فى الاحتفاء بحذف المفعول به أيما احتفاء حتى جعله دليلاً على قوة عربية الناطق به . ومن ذلك:

- قوله تعالى " قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير" [١١]

قرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر "يصدُر" بفتح الياء وضم الدال ، وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الدال [١٢]

(١)غافر / ٣٧ .
(٢)الأعراف / ١٢٤ والشعراء / ٤٩ .
(٣)النمل / ٢٤ .
(٤)الحجة لأبى على ٣/٣٥١ .
(٥)الكشاف ٢ / ١٠ .
(٦)المحرر الوجيز ١٦/٤٩ .
(٧)التبيان ١ / ١٥٤ .
(٨)البحر المحيط ٤/٧٩ .
(٩)الدر المصون ٤ / ٢٥١ .
(١٠) ينظر حاشية الشهاب ٤ / ٣٤ ، و روح المعانى ٧٦ / ١١٢ .
(١١)القص / ٢٣ .
(١٢)السبعة / ٤٩٢ ، والتجريد / ٥٠٧ ، والنشر ٢/٣٤١ .

الصدر عن الشيء : الرجوع [١]أو صدر القوم صدورًا من باب " قعد"، وأصدرته بالألف ، وأصله الانصراف ، يقال : صدر القوم ، وأصدرناهم : إذا صرفتهم . [٢]

أما قراءة أبى عمرو وصاحبيه "يَصُدر" بفتح الياء وضم الدال فمضارع "صدر" غير متعد [٣] والمعنى : حتى يرجع الرعاء من سقيهم . [٤]

وأما قراءة الباقين "يُصدر" فمضارع "أصدر" رباعى تعدى بالهمزة إلى مفعول محذوف [٥]، والمعنى : حتى يصرف الرعاء مواشيهم . [٦]

وفى احتجاجه لقراءة أبى عمرو وصاحبيه "يَصدُر" قال : ... حتى يرجعوا من سقيهم ، وفى التنزيل "يومئذ يصدر الناس أشتاتا" [٧]فمن قرأ "حتى يُصدِر الرعاء" أراد : حتى يُصدِروا مواشيهم من وردهم ، فحذف المفعول ، وحذف المفعول كثير فى التنزيل ، وفى سائر الكلام ، قال سبحانه "لينذر بأسا شديداً" [٨]إنما هو لتنذر الناس ، أو المبعوث إليهم .... [٩]

وقريب منه قول أبى زرعة: المراد من ذلك حتى ينصرف الرعاء من الماء ، ولو كان "يُصدر" كان الوجه أن يذكر المفعول فيقول : حتى يصدر الرعاء ماشيتهم ، فلما لم يذكر مع الفعل المفعول علم أنه غير واقع وأنه "يصدر الرعاء" بمعنى ينصرفون عن الماء [١٠] أما قراءة الباقين فقال فيها :

---

(١)القاموس المحيط / صدر .
(٢)المصباح المنير / صدر .
(٣)الكشف ٢ / ١٧٣ .
(٤)تفسير الجلالين بهامش الفتوحات الإلهية ٣/٣٤٤ .
(٥)الكشف ٢/١٧٣ .
(٦)تفسير الجلالين ٣/٣٤٤ .
(٧)الزلزلة / ٦.
(٨)الكهف ٢ .
(٩)الحجة لأبى على ٣/٢٤٩ .
(١٠)حجة القراءات / ٥٤٣ .

حتى يصدر الرعاء غنمهم عن الماء ، فالمفعول محذوف ، وحذف المفعول كثير ، حيث استغنى بالإصدار عن المفعول . [١]

وقد استفاد عبد القاهر الجرجاني من التعليلات ا السابقة ، عند تعرضه لبلاغة حذف المفعول به فى الآية التى معنا حين قال : وإن أردت أن تزداد تبينا لهذا الأصل أعنى وجوب أن تسقط المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله ولا يدخلها شوب فانظر إلى قوله تعالى "الآية" ففيها حذف مفعول فى أربعة مواضع ، إذ المعنى : وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم ، وامرأتين تزودان غنمهما ، وقالتا لا نسقى غنمنا ، فسقى لهما غنمهما ... وما ذاك إلا أن الفرض فى أن يعلم أنه كان من الناس فى تلك الحال سقى ، ومن المرأتين ذود ، وأنهما قالتا لا يكون منا سقى حتى يصدر الرعاء ... فاعرفه تعلم أنك لم تجد لحذف المفعول فى هذا النحو من الروعة والحسن ". ما وجدت ، إلا لأن فى حذفه وترك ذكره فائدة جليلة ، وأن الغرض لا يصح إلا على تركه [٢] وأخيراً فإن أحدًا لا ينكر مدى انتفاع البلاغيين بالتحليل السابق ، حتى فى النظرة الثنائية فى الحذف الجلي والخفي والتى استحالت عند العلماء إلى تقسيم حذف المفعول إلي قسمين :

أحدهما : أن يحذف وهو مراد ملحوظ : فيكون سقوطه لضرب من التخفيف وهو فى حكم المنطوق به .

والثانى : أن تحذفه معرضاً عنه البتة ، وذلك أن يكون الغرض الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل من غير تعرض لمن وقع به الفعل فيصير من قبيل الأفعال اللازمة. [٣]

(١)السابق نفسه .
(٢)دلائل الإعجاز / ١٦١ –١٦٢ .
(٣)المفصل ٢ / ٣٩ – ٤٠ .

وقد أطلق بعضهم القسم الأول بالاختصار ، والقسم الثاني بالاقتصار [١]

وظهر أثر هذين القسمين عند تحليل الزمخشري لقراءة "لا تقدموا" من قوله تعالى "يأيها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم" [٢] قرأ يعقوب " لا تقدموا" بفتح التاء والدال ، وقرأ الباقون بضم التاء وكسر الدال . [٣]وفى قراءة الجمهور "لا تقدموا" يرى الزمخشري أن مجئ الفعل بهذا النسق دون ذكر المفعول ربما يحتمل وجهين : أحدهما : أن يحذف ليتناول كل ما يقع فى النفس مما يقدم ، والثانى : ان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ، ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة ، كأنه قيل : لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ، ولا تجعلوه منكم بسبيل ، كقوله تعالى "هو الذى يحيى ويميت" [٤]، ويجوز أن يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ... وتعضده قراءة من قرأ "لا تقدموا" –يعقوب . فحذف إحدى تاءى "تتقدموا" إلا أن الأول أملأ بالحسن وأوجه وأشد ملائمة لبلاغة القرآن ، والعلماء له أقبل [٥] وهكذا جاءت قراءة الجمهور بحذف المفعول لكي يعم النهي كل ما يقع فى النفس مما يقدم ، واحتملت الاقتصار على نهي المؤمنين عن التلبس بالفعل ، هذا إذا كان الفعل متعدياً ، أما إذا كان لازما فهو كما يرى أكثر المفسرين من باب المجاز . [٦]، يقال : فلان تقدم بين الناس إذا ارتفع أمره وعلا شأنه ، فليس المراد عندئذ هو التقديم نفسه ، بل المراد نهى المؤمنين عن أن يجعلوا لأنفسهم شأنا ورأياً بين يدي الله ورسوله ، وذلك ما اقتصرت عليه القراءة الأخرى .

---

(١)البرهان ٣ / ١٦٢ ، ١٧٥ ، ومعترك الأقران ١/ ٣٠٩ – ٣١٠ ، وحاشية الشهاب ٧٣/٦ .
(٢)الحجرات / ١ .
(٣)التذكرة ٢ / ٥٦٢ .
(٤) غافر / ٦٨ .
(٥)الكشاف ٤ / ٣٤٩ ، ومفاتيح الغيب ٢٨ / ١١٠ ، والبحر المحيط ١٠٥/٨ ، والدر المصون ١٩٨/٦ ، والبرهان ٢٧٧/٤ .
(٦)المراجع السابقة .

٤-حذف المضاف :

يشيع حذف المضاف كثيراً فى العربية ، حتى بات معلوما لدى علماء العربية أن حذفه سائغ فى سعة الكلام وحال الاختيار إذا لم يُشكل ، وإنما سوغ ذلك الثقة بعلم المخاطب إذ الغرض من اللفظ الدلالة على المعنى ، فإذا حصل المعنى بقرينة حال أو لفظ آخر ، استغنى من اللفظ الموضوع بإزائه اختصارًا ، وإذا حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وأعرب إعرابه . ومن ثم كان من البديهي أن يتوارد حذف المضاف هاهنا باعتباره أحد العلل التى احتج بها العلماء ومن ذلك ما نراه فى قوله تعالى "إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء" (١)

قرأ الكسائى وحده " تستطيع " بناء الخطاب ، و"ربك" بالنصب ، وقرأ الباقون بياء الغيب والرفع (٢)

الطوع : الانقياد ، ويضاده : الكره ... والاستطاعة : استفالة من الطوع ، وذلك وجود ما يصير به الفعل متأتيا ، وهى عند المحققين : اسم للمعانى التى تمكن الإنسان مما يريده ... وضدها العجز(٣)والاستطاعة أخص من القدرة . (٤)

أما قراءة الكسائى بتاء الخطاب والنصيب ، فعلى أن الخطاب من الحواريين لسيدنا عيسى _عليه السلام _ وفيه معنى التعظيم للرب جل ذكره على أن سينبئهم عيسى عن استطاعته إذ هو مستطيع ذلك ، والمعنى : هل تستطيع سؤال ربك فى إنزال مائدة علينا. (٥)

(١)المائدة / ١١٢ .
(٢)السبعة / ٢٤٩ .
(٣)المفردات للأصفهانى / ٣١٠ .
(٤)معجم ألفاظ القرآن الكريم / طوع .
(٥)الكشف ١ / ٤٤١ .

وأما قراءة الباقين بياء الغيب والرفع فعلى أن المعنى : هل يفعل ربك؟ لأنهم لم يشكوا فى استطاعة البارى [١]، أو على أن المعنى : هل يستجيب لك ربك إن سألته ويعطيك فيه. [٢]

وفى وجه الكسائى ذكر أبو على الفارسي قريب مما سبق ثم قال فى الخطاب من الحواريين : ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم ، كأنهم قالوا: إنك مستطيع فما يمنعك ؟ ومثل ذلك قولك لصاحبك : أتستطيع أن تذهب عنى فإنى مشغول : أى اذهب لأنك غير عاجز عن ذلك [٣]والمتأمل فى تحليل العلماء السابق ولا سيما فى قراءة الكسائى يجد أن ثمة تفاعل سلوكي بين المتكلم والمخاطب استطاع العلماء أن يوظفوا هذا التفاعل فى جعل المتكلم وهم الحواريون يراعون حال المخاطب وهو عيسى _عليه السلام _، كأنهم قالوا إنك مستطيع فما يمنعك ؟ وحسن هنا لأن المتكلم فى نظرية الاتصال يوظف حال المخاطب ، وعمله فى استكمال عناصر الخطاب ، ويتوقع من المخاطب فهم العلاقات التركيبية ، حين حذف منه بعض العناصر اللغوية – المضاف هنا – ، وأراد معنى ، وبقى هنالك تأثيرها النحوي ، اكتفاء بورودها فى الكلام الأول .

ويؤكد البحث علي أن العلماء كانوا على علم تام بأنه يجب أن يراعى باستمرار مستويان : الأول تمثيلى لا يتكلم به ، والاخر : مستوى الكلام المنطوق [٤] والمعنى المقصود يكتمل بالمستويين معاً ، وتبدو الإشارة إلى ذلك واضحة فى توجيه ابن خالويه حين ذكر أن المعنى على قراءة الجمهور لا يحتاج إلى تقدير محذوف بل تحتاجه القراءة الأخرى ، ليكتمل المعنى المقصود قال : أنه جعل الفعل لله تعالى فرفعه به ، وهم فى هذا السؤال

(١)السابق نفسه .
(٢)جامع البيان ١٢٩/٧ .
(٣) في :الحجة له
(٤)ينظر : النظرية النحوية فى كتاب سيبويه / ٢٤٢ .

عالمون أنه يستطيع ، فلفظه الاستفهام ومعناه معنى الطلب والسؤال ، أما القراءة الأخرى فقد جاءت على حذف مضاف تقديره : هل تستطيع سؤال ربك ؟ ثم حذف السؤال ، وأقام "ربك" مقامه كما قال : "واسأل القرية" [١]يريد أهل القرية [٢]

ومثل هذا التقدير كثير فى كلام العرب، ولا وجه لاستشكال ابن جرير [٣] قراءة الكسائى حينما اختار قراءة الجمهور ، ومفاد ذلك عنده أن نبيى الله عيسى استعظم من الحواريين مقولتهم تلك وكره سؤالهم ، وقال لهم : "اتقوا الله إن كنتم مؤمنين " [٤] ، وهذا لا يتأتي له إلا على القراءة بالياء والرفع ، وأما قراءة الكسائى فلا ملاءمة بينها وبين الاستعظام والإنكار والأمر بالتوبة. والحق أن التحول فى التركيب من القراءة بالياء إلى القراءة بالتاء أزال ما استشكله ابن جرير ، اضف إلى ذلك أن العالم بأساليب العرب يدرك أن هذا الوجه جاء على طريقة عربية فى العرض والدعاء المشتملين على تأدب ولطف فى الطلب ، فإن السائل إذا أراد أن يكلف المسئول ما يشق عليه طرح عليه الطلب بهذه الصيغة ونحوها ، وإنما يقول ذلك الأدنى للأعلى منه، وفى شيء يعلم أنه مقدور للمسئولية ، وهو كقولك لفلان : أتستطيع أن تعطيني كذا ، وهو مستطيع . [٥]

والسؤال ها هنا . فيما يبدو . لأجل طمأنة القلب بإيمان المعاينة ، وليس شكا فى قدرة الله ، فهو كسؤال إبراهيم عليه السلام أن يريه الله كيف يحيى الموتى مع إيمانه لذلك فى الغيب ، كما أنه سؤال من الفعل وليس

(١)يوسف /٨٢

(٢)ينظر : الحجة لابن خالويه / ١٣٥ ، ويراجع حجة القراءات / ٢٤٠ ، والكشف ٤٢٢/١٨ .

(٣)جامع البيان ١٢٩/٧ .

(٤)المائدة / ١١٢

(٥)ينظر : معانى القرآن وإعرابه . ٢ / ٢٢٠ ، والكشف ١ / ٤٢٢ ، وشرح الهداية ١ / ٤٥٥ .

سؤال عن القدرة ، وجاء التعبير باللازم الذى هو الفعل تعبيراً عن الملزوم وهو القدرة . (١)

ومما يؤكد ما سبق أن مقصود الآية هنا أن الحواريين كانوا مؤمنين كما قال ابن عطية ،ولا خلاف أحفظ فى أن الحواريين كانوا مؤمنين . (٢)

٥- حذف الجملة:

تنوع حذف الجملة وأخذ صورًا عديدة أملاها السياق القرآني والاستعمال اللغوي ، والبلاغة من ذلك ما نراه فى حذف المقابل أو الاكتفاء بأحد الضدين فى قوله تعالى "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرًا" (٣)

قرأ يعقوب وحده "أمرنا" بمد الهمزة وقرأ الباقون بقصرها. (٤)

أمرته : إذا كلفته أن يفعل شيئاً ، وأمر القوم : كثر نسلهم وماشيتهم ، وأمر الله القوم إيمارًا: كثر نسلهم وماشيتهم . (٥)

أما قراءة يعقوب : "ءامرنا" بالمد فهى رباعى من باب "فاعَل" بمعنى "فعل المجرد" (٦)

وقال أبو عبيدة : ءامرته بالمد أمرته . بالقصر . لفتانى بمعنى كثرته ، والمعنى أكثرنا جبابرتها وأمراءها قاله الكسائى. (٧)

وأما قراءة الباقين "أمرنا" بالقصر فمن الثلاثى من باب "فَعَل" وهو يدل على وقوع الفعل من طرف واحد .

---

(١)جامع البيان ٧/ ١٢٩ .
(٢)المحرر الوجيز ٢/٢٦٠ .
(٣)الإسراء م ١٦ .
(٤)التذكرة ٢ / ٤٠٤ ، والتلخيص / ٣١٠ ، وتقريب النشر / ١٣٣ .
(٥)اللسان / أمر .
(٦)شرح النويري ٤/٤٢٦ .
(٧)الجامع لحكام القرآن للقرطبي ١٠/٢٣٣ .

قال أبو على الفارسي : فإنه ينبغى أن يجعل أمرنا من المر الذى هو خلاف النهي ، ويكون المعنى : أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ..." (١)

لقد أثار تعدد مفهوم القراءات هنا واختلاف النظر إلى نسقها تغاير الأوجه البلاغية المحتملة فى توجيهها .

والذى يبدو أن مناط الخلاف هنا هو التعدد فى معنى الأمر المتبادل من ظاهر الآية ، فالزمخشري يؤثر حمله على التسبيب مجازاً فيقول : ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صب فجعلوها ذريعة إلى المعاصى واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه ... ثم رفض أن تكون من باب حذف المقابل بل هى عنده من باب حذف النظير فقال : لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز ، فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه، وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل عليه ، وهو كلام مستفيض ، يقال : أمرته فقام ، وأمرته فقرأ ، لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة ولو ذهبت تقدر غيره ، فقد رمت من مخاطبك علم الغيب.. (٢)

ولم يرتض أبو حيان تحليل الزمخشري السابق فاعترضه قائلاً: ... أما ما ارتكبه فى المجاز ، وهو أن أمرنا مترفيها صببنا عليهم النعمة صبا ، فيبعد جدًا ... ، وقوله : لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز تعليل لا يصح فيما نحن بسبيله ، بل ثم ما يدل على حذفه ، وقوله : فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه ، فنقول : حذف الشيء تارة يكون لدلالة موافقة عليه ومنه ما مثله به ... وتارة يكون لدلالة خلافة أو ضده أو نقيضه ، فمن

(١)الحجة ٣/٥٣ .

(٢)الكشاف ٢*/٦٥٤ ، وراجع حاشية الشهاب ٦ / ١٨ – ١٩ .

ذلك قوله تعالى "وله ما سكن فى الليل والنهار" [١] قالوا تقديره : سكن وتحرك ، وقوله تعالى "سرابيل تقيكم الحر" [٢] قالوا : الحر والبرد ..

وهذه الآية من هذا القبيل ، يُستدل على حذف النقيض بإثبات نقيضه، ودلالة النقيض على النقيض كدلالة النظير على النظير . [٣]

ومذهب أبى حيان هنا هو اقتفاء لمذهب جمهور المفسرين والموجهين، وهو مذهب لا غضاضة فيه بعد أن أطبق عليه جمهور المفسرين والموجهين ومعربوا القرآن أمثال : الفراء [٤]والزجاج [٥]، وأبى على الفارسي [٦]وابن عطية [٧]، والقرطبي [٨]، والسمين الحلبى [٩]وابن حجر [١٠]وأبى السعود وغيرهم الذين وجهوا الآية على أن المعنى: أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا ، على حذف المقابل أو الاكتفاء بأحد الضدين على نحو ما سبق ، وهو تفسير مأثور كذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما .

والذى يرجحه البحث هنا أن الذى حمل الجمهور على ذلك التحليل هو استحالة أن ينسب إلى الله سبحانه الأمر بالفسق على ما يوحيه ظاهر اللفظ ، الأمر الذى جعل الزركشي يذهب إلى حمل الآية على حذف

(١)الأنعام / ١٣ .
(٢)النحل / ٨١ ،.
(٣)ينظر / معانى القرآن للفراء ١١٩/٢ ، وإعراب القرآن للزجاج ٣٤٦/١ . ٣٤٧ ، والمحرر الوجيز ٢٧١/١٠ – ٢٧٣ ، وإرشاد العقل السليم ٤٣٤/٣ . ٤٣٥ .
(٤)معانى القرآن ١١٩/٢ .
(٥)إعراب القرآن ٣٤٦/١ . ٣٤٧ .
(٦) الحجة ٢٠١/٣.
(٧)المحرر الوجيز ٢٧١/١٠ – ٢٧٣.
(٨)الجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/١٠ .
(٩)الدر المصون ٣٧٨/٤ .
(١٠)فتح البارى ٢٤٦/٨ .

المعطوف ، أى : أمرنا مترفيها مخالفة الأمر ففسقوا ، ورأى أنه بهذا التقدير يزول الإشكال فى الآية وأن الفسق ليس مأمورًا به. [١]

وعلى غرار حذف جملة المعطوف فى تحليل الزركشي السابق يشير العلماء فى قوله تعالى "... قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهم جزءًا ..." [٢]حيث ذهب أبو على الفارسي تبعاً للاستعمال اللغوي إلى أن : صُرت يقع على إمالة الشيء ، يقال : صُرته أصوره ، إذا أملته إليك ، وعلى قطعه ، يقال : صرته أى قطعته ... فقول حمزة ، وأبو جعفر ، رويس وخلف العاشر [٣] "فصرهن إليك" يكون من القطع ، ويكون من ، كما أن قول من ضم – الباقى – يحتمل الأمرين ، فمن قال : فصرهن إليك " فأراد بقوله "صُرهن" : أملهن حذف من الكلام ، المعنى : أملهن فقطعهن : "ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا" فحذف الجملة لدلالة الكلام عليها ، كما حذف من قوله تعالى "فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفق" [٤]، المعنى : فضرب فانفلق وثمة أمثلة أخرى كثير لهذا الضرب . [٥]

وبعد ، فإن البحث ليؤكد هنا أن :

- البحث البلاغي استفاد من إشارات علماء التوجيه لظاهرة حذف الجملة، إذ جعله ابن الأثير ضرباً من ضروب حذف الجملة [٦]، كما أفاد الخطيب القزويني وغيره من هذه الظاهرة ، وذلك فى حديثه عن قرائن الحذف مشيراً إلى علتها البلاغية فقال : واعلم أن الحذف لابد له من

(١)البرهان ١٥٧/٣ ، ويراجع الحذف البلاغي فى القرآن الكريم د. مصطفى أبو شادي.
(٢)البقرة / ٢٦٠ .
(٣)السبعة / ١٨٩ –١٩٠ ، والتجريد / ٢٥٣ ، والنشر ٢ / ٣٣٢ .
(٤)الشعراء م ٦٣ .
(٥)الحجة لأبى على ١ / ٤٧٥ .
(٦)المثل السائر ٢٢١/٢ ، والطراز ٩٢/٢ .

قرينة ، كوقوع الكلام جواباً عن سؤال إما محقق ... وإما مقدر نحو : ... قراءة من قرأ "يسبح له فيها بالغدو والآصال"[١]ببناء الفعل للفاعل "يُسبح" [٢][٣]

- هذه الظاهرة أخذت موقعها فى البحث والتحليل اللغوي عند الحديث عن مواضع الفصل فى القطع والائتناف . [٤]
- تحليل علماء التوجيه والمعانى يشكل – فيما يبدو – إرهاصات ظاهرة الذكر والحذف فى العربية نحويا ودلاليا ، لأنه عندما يتعلق غرض الكلام بجزء منه ، فإنه يذكر نهما به ، بل ربما يلح عليه بتكرار ذكره ، ومن ثم يحذف فضول الكلام، لعدم تعلق الغرض به أصلاً أو للإيجاز بدلالة الفحوى عليه .
- يذكر بعضهم أن الحذف فى التركيب – بلاغياً . يؤدى دوره فى تكثيف المعانى ووجازة العبارة عنها علاوة على ما يوحيه من دلالات نفسية . [٥]مرجعها ومردها التى يتغياها حيرة المتلقى وقلقه فى تقدير المحذوف ومعرفة كنهه .

٦- صور أخرى للحذف والإيجاز :

والصور التى نعنيها هنا هى تلك التى تعكس ظاهرة قرآنية متفردة، لا يقوم الإيجاز أو الحذف فيها على طريقة من الطرائق المعهودة فى بلاغة الحذف والتى سبقت الإشارة إلى بعضها بنماذجها، وإنما كان منشؤها تعدد القراءات ، وذلك باعتبار أن كل قراءة منها لها غالبا – دلالة على حدة لا بقدر اللفظة ، بل مقدار آية كاملة، الأمر الذى يمكن معه القول بأن

(١)النور / ٣٦ .
(٢)السبعة / ٤٥٦ ، والتجريد / ٤٨٤ ، والنشر ٢ / ٣٣٢ .
(٣)بغية الإيضاح ١ / ٢٠٦ ، والإشارات والتنبيهات فى علم البلاغة للجرجاني / ٦٣ .
(٤)دلائل الإعجاز / ٢٣٥ ، وبغية الإيضاح ٨٢/٢ .
(٥)هو الدكتور مجيد ناجى فى الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية / ١٣١ .

تعاقب القراءات المتواترة وتبادلها فى الموضع الواحد يقوم مقام آيات متعددة يتحملها النسق ويتغياها السياق فى مواضعه .

ومن تلك الصورما يدل علي الجمع بين حكمين شرعيين يناط بهما سياق مواضعه ومثاله : قوله تعالى "يأيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين" (١)

قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب "وأرجلكم" بالنصب ، وقرأ الباقون بالجر (٢)

أما قراءة نافع ومن معه "وأرجلكم" بنصب اللام فعلى العطف على "وجوهكم وأيديكم" وعليه فإن حكمها الغسل (٣)والمعنى : فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين . (٤)

وقد ثبت بالسنة والإجماع أن حكم الأرجل الغسل . (٥)

وأما قراءة الباقين "وأرجلكم" ب الجر فعلى العطف على "برؤوسكم" (٦)واختلف فى معنى هذه القراءة على وجوه :

أن الله عز وجل أمر بعموم مسح الرجلين بالماء فى الوضوء كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب فى التيمم ، وإذا فعل ذلك بهما المتوضئ كان مستحقاً اسم "ماسح غاسل" لأن غسلهما : إمرار الماء عليهما، أو إصابتهما

(١)المائدة / ٦ .
(٢)السبعة / ٢٤٢ . ٢٤٣ ، والتجريد / ٢٩٨ . ٢٩٩ ، والنشر ٢/٢٥٤ .
(٣)إتحاف فضلاء البشر ١ / ٥٣٠ .
(٤)جامع البيان للطبري ٤ / ٤٦٦ .
(٥)الكشف ١ / ٤٠٧ .
(٦)إتحاف فضلاء البشر ١ / ٥٣٠ .

بالماء ، ومسحهما : إمرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما ، فإن فعل ذلك بهما فاعل فهو غاسل ماسح. (١)

أن المسح محمول على حال لبس الخفين .

أن المسح فى الرجلين هو الغسل ، وعليه يكون لفظ المسح مشتركاً يطلق بمعنى المسح ، كما يطلق بمعنى الغسل .

أن القرآن نزل بالمسح والسنة بالغسل لأن السنة مبينة للقرآن .

أن حكم الرجلين المسح والكلام على معناه .(٢)

وبعد فظاهر قراءة الفتح العطف على الوجوه دلالة على غسل الأرجل فى الوضوء ، وهذا ما تؤيده السنة وعمل الصحابة وإجماع الفقهاء ، أما ظاهر قراءة الجر فيقتضى العطف على الرءوس ، ويكون حكم الأرجل بناء على هذا الظاهر المسح ، ولذلك اختلف الفقهاء فى معناه واجتهدوا بكل الطرائق اللغوية والبلاغية فى رده إلى معنى القراءة الأخرى ، تارة عطف على الجوار ، وأخرى على المعنى. (٣)

وقد حاول الزمخشري أن يتلمس لذلك العطف علة بلاغية حين قال : فإن قلت : فما تصنع بقراءة الجر ودخولها فى حكم المسح ، قلت : الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها ، فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه ، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح ، ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد فى صب الماء عليها. (٤)

ومع وجاهة ما ذهب إليه الزمخشري ، فإنه مخالف لظاهر النص على تلك القراءة ، ولذا نرى الطبري . وكان أكثر وعياً . يجمع بين حكمي القراءتين

---

(١)جامع البيان للطبري ٤ / ٤٧٠ . ٤٧١ .

(٢)ينظر تفصيل ذلك فى الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٨٨/٣ . ٢٠٩٠ .

(٣)ينظر حجة القراءات / ٢٢١ . ٢٢٣ ، والمحرر الوجيز ٤٨/٥ . ٥٠ .

(٤)الكشاف ١ / ٦١١ ، ويراجع البحر المحيط ٤٣٧/٣ . ٤٣٨ ، وإرشاد العقل السليم ٢ / ١٦ ، وحاشية الشهاب ٢٢٠/٣ . ٢٢١ .

حين قال : الصواب من القول ... فى ذلك أن الله أمر بعموم مسح الرجلين بالماء فى الوضوء ، كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب فى التيمم ، وإذا فعل ذلك بهما المتوضئ كان مستحقاً اسم ماسح غاسل . واستمر فى توجيه القراءتين على نحو ما أشرت إليه من قبل . [١]، وخلاصة ما يستفاد من مذهب الطبري هنا ليست التخيير بين الغسل أو المسح كما نقل بعضهم [٢]بل كان مذهبه الجمع بين الأمرين عملاً بالقراءتين ، كما لم يكن عطف الأرجل على الرؤوس مجروراً للتنبيه على الاقتصاد فى صب الماء عليها كما ذهب إلى ذلك الزمخشري ، ولكنه – فيما يبدو – كان للاعتناء بغسلها ومسحها بالماء إلى حكم تدليكها حتى لا يبقى من درنها شيء وهى أكثر الأعضاء مظنة للعُلقة به .

وقد تأثر النحاس بوجهة الطبري السابقة وأوجز ما يستفاد من القراءتين قائلا : ... المسح والغسل واجبان جميعاً ، والمسح واجب على قراءة من قرأ بالخفض ، والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب ، والقراءتان بمنزلة ءايتين" [٣]

وصفوة القول هنا أن قيام قراءة كلمة واحدة بوجه من الوجوه مقام الآية كاملة فيه أبلغ إيجاز أو اختصار وعدم تكرار ، وهو من أهم ما يستفاد من تغاير القراءات عموماً .

ومن صور الإيجاز أيضا تعاقب الخطاب أو استقصائه فى مقام القصة القرآنية ، وهذا ما يتضح فى :

(١)جامع البيان ٤ / ٤٦٦ . ٤٧١ .
(٢)ينظر أحكام القرآن لابن العربى ٥٧٧/٢ ، والجامع لحكام القرآن للقرطبي ٩٢/٦ .
(٣)إعراب القرآن ٢ / ٩ .

قوله تعالى " قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر " (١)

قرأ الكسائي "لقد علمت" بضم التاء ، وقرأ الباقون بفتحها. (٢)

العلامة : ما تترك فى الشيء مما يعرف به ، ومن هذا العلم لما يعرف به الشيء أو الشخص .

وسمى الحيل علماً لذلك ، ومنه علمت الشيء : عرفت علامته وما يميزه ، ونقيضه : الجهل (٣)أما قراءة الكسائى هنا "علمت" بضم التاء فعلى الإخبار من المتكلم عن نفسه ، وهو سيدنا موسى عليه السلام ، الذى أخبر عن نفسه أنه ليس بمسحور كما وصفه فرعون ، بل هو يعلم أن ما أنزل الآيات إلا رب العالمين .

أما قراءة الباقين "لقد علمت" بالفتح فى التاء فعلى الخطاب من سيدنا موسى عليه السلام لفرعون ويقوى ذلك أن قبله "وإنى لأظنك" (٤)على الخطاب (٥)، وهذا خبر من سيدنا مسوى لفرعون بأنه عالم بأنها آيات من عند الله (٦)، خاطبه موسى بذلك على سبيل التوبيخ ، أى أنت بحال من يعلم هذا ، وهى من الوضوح بحيث تعلمها ، وليس خطابه على جهة إخباره عن علمه . (٧)

والمتأمل هنا يجد اتجاهين :

الأول : ويرى أصحابه أن القراءتين وردتا لتستقصى رد موسى عليه السلام على ادعاء فرعون فوردت بفتح التاء على خطاب موسى لفرعون

(١)الإسراء / ١٠٢ .
(٢)السبعة / ٣٨٥ ، والتجريد / ٤٢٩ وتقريب النشر / ١٣٥ .
(٣)معجم ألفاظ القرآن الكريم / علم .
(٤)الإسراء / ١٠١.
(٥)الحجة لابن خالويه / ٢٢١ ، ويراجع الكشف ، ٥٢١ ، والبحر المحيط ٨٦/٦ .
(٦)جامع البيان ١٧٣/٨ . ١٧٤ .
(٧)البحر المحيط ٦ / ٨٦ .

وتبكيته فى قوله عنه أنه مسحور ، أى لقد علمت أن ما جئت به ليس من باب السحر ، ولا أنى خدعت فى عقلى ، بل علمت أنه ما أنزلها إلا الله ... فبكته وأعلمه أنه يعلم آيات الله ومن أنزلها ، ولكنه مكابر معاند كقوله " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ، وخاطبه بذلك على سبيل التوبيخ كما سبق [١]

الثاني : ويعزى أصحابه التغاير بين التكلم والخطاب هنا إلى التفاوت الزمني بين موقفين من مواقف موسى مع فرعون ، وما أكثر مواقفهما ، وهذا ما ألمح إليه ابن قتيبة حين علل للتغاير بين القراءتين بأن : فرعون قال لموسى إن ءاياتك التى أتيت بها سحر ، فقال موسى مرة : لقد علمت ما هى سحر ولكنها بصائر ، وقال مرة : لقد علمت أنت أيضاً ما هى سحر وما هى إلا بصائر ، فأنزل الله المعنيين جميعاً. [٢]

وهكذا استفاد علماء التوجيه من تعاقب الخطاب أو استقصائه فى القصة القرآنية هنا .

ومن صور الإيجاز كذلك : اشتراك الشخوص فى الوصف ، الناتج عن تغاير القراءات وهو ما تعكسه القراءات الواردة فى قوله تعالى : "حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا" [٣]

قرأ حمزة والكسائى وخلف "يفقهون" بضم الياء وكسر القاف ، وقرأ الباقون بفتحهما [٤]فقه : فهم فقها ، وفقهه : فهمه . [٥]

(١)ينظر : البحر المحيط ٨٦/٦ ، ويراجع : حجة القراءات / ٤٦١ ، والكشاف ٢٩٨/٢ ، والدر المصون ٤٢٥/٤ .

(٢)تأويل مشكل القرآن / ٣٣ ، ويراجع إعراب القراءات السبع ٣٨٣/١ . ٣٨٤ .

(٣)الكهف / ٩٣ .

(٤)السبعة / ٣٩٩ ، والتجريد / ٤٤١ ، والنشر ٣١٥/٢ .

(٥)المفردات / ٢٣٥ . ٢٣٦ .

أما قراءة حمزة وصاحبيه "يُفقهون" بضم الياء وكسر القاف فمضارع "أفقه" رباعي تعدى لمفعولين أحدهما محذوف [١]، والمعنى : لا يكادون يفهمون غيرهم شيئاً لشدة عجمتهم فكلامهم فعلن [٢]

وأما قراءة الباقين "يَفقهون" بفتح الياء والقاف فمضارعه "فَقِه" ثلاثى تعدى لمفعول واحد وهو "قولا" [٣]، والمعنى : لا يكادون يفقهون قولا [٤]، أى: لا يفهمون كلام أحد ، وكان مما لاحظه أبو على الفارسي من الوجهة البلاغية أن معنى من فتح : أى يعلمونه ولا يستنبطون من فحواه شيئا . ثم ذكر نوعاً ذكرته سلفاً فى اشتقاق القراءتين . [٥]

وهذا الذى لاحظه أبو على ذكره الطبري بقوله : وذلك أن القوم الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر جائز أن يكونوا لا يكادون يُفقهون قولها لغيرهم ، فيكون صواباً القراءة بذلك ، وجائز أن يكونوا مع كونهم كذلك لا يكادون يُقفهون غيرهم لعلل إما بألسنتهم وإما بمنطقهم فتكون القراءة بذلك أيضاً صواباً . [٦]

ويرى البحث أن كل قراءة لها دلالتها المعتبرة التى تختلف بها عن الأخرى ، غير أنه لا غنى بأحداهما عن الأخرى ففى حين تدل قراءة الفتح على صعوبة فهمهم لغة ذى القرنين تدل قراءة الضم عدم فهمه للغتهم ، ومن ثم أسهم التحول فى التركيب بين القراءتين فى إكمال المعنى الذى يتغياه سياق القصة من إبعاد ذى القرنين فى المسير حتى بلغ أرضاً لا يفهم هو لغة قومها ، كما أن أهلها لا يفقهون لغته .

---

(١)الكشف ٢ / ٧٦ .
(٢)الفتوحات الإلهية ٣ / ٤٦ .
(٣)الكشف ٢/٧٦ .
(٤)الفتوحات الإلهية ٣/٤٦ .
(٥)الحجة ٣/١٠٣ .
(٦)جامع البيان ١٦/٢١٣ ، والكشاف ٢/٧٤٦ .

المطلب الرابع : الإطناب وصوره وأثرذلك في المعني .

يعرف البلاغيون الإطناب بأنه : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة [١]، أو هو أداء المعنى بلفظ زائد على أصل المراد [٢]وهو على قسمين [٣]

أ – الغير بلاغي ويعني (أن تكون الزيادة لغير فائدة)

ب– البلاغي : ويعني أن تكون الزيادة لفائدة يقتضيها المقام ويتحقق ذلك بوسائل متعددة عنى بها التحليل اللغوي والبحث البلاغي ، كما تضمنت بعضها نصوص توجه القراءة منذ مراحله الأولى .

ويمكن تناول نماذج الإطناب فى توجيه القراءات من خلال أغراضه الآتية :

١–زيادة بعض حروف المعانى :

من صور الإطناب فى القراءات وكذا الدرس البلاغي زيادة بعض حروف المعانى ، والزيادة مصطلح نحوى يقوم فى الأصل على انعدام الأثر الإعرابي لبعض هذه الأحرف ، ولعل سيبويه كان أول من فطن لذلك حين ذكر عقيب قوله تعالى " فبما نقضهم ميثاقهم"[٤]ونظائره أن "ما" : لغو فى أنها لم تُحدِث إذا جاءت شيئاً لم يكن قبل أن تجئ من العمل وهى توكيد للكلام . [٥]

والمفهوم من الكلام السابق وما شاكله من قول علماء اللغة أ، "ما" توكيد للكلام كما يؤكد المتكلم كلامه بـ "إن" واللام وغيرهما من المؤكدات .. وأغلب الظن أن منشأ حكمهم السابق بزيادة "ما" وأخواتها أن التوكيد الذى

(١)المثل السائر : ٢١٤ ، وعلوم البلاغة/ ١٩١ .
(٢)قاموس قواعد البلاغة / ١٢١ .
(٣)السابق نفسه .
(٤)النساء / ١٥٥ .
(٥)الكتاب ٤ / ٢٢١ .

أفادته "ما" هنا ليس من معانيها التى وضعت لها أصلاً ، كما أن بعضها لا يحدث أثراً إعرابياً فى تركيبه .

ويبدو أن هذه الوجهة هى التى جعلت معظم البلاغيين – تبعاً لعبد القاهر – يعدون الحكم الأعرابي المتمخض عن بعض تلك الأحرف نوعا من المجاز ، وذهبوا هنالك إلى أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلى ، توصف به كذلك لنقلها عن إعرابها الأصلي إلى غيره ، لحذف لفظ أو زيادته .

ويرى ا لبحث أن ما تعلق به البلاغيون هنا لا يعدو أن يكون فهماً منطقياً صرف لحد المجاز ، وليس له أدنى صلة بالتحليل البلاغي ، حيث إن جل اللغويين ، وعلماء القراءات لم يقولوا بترتب المجاز على حكم أحرف الزيادة أو معناها ، بل رأوا فى ذلك ما فطن إليه قبلهم ابن جنى وغيره أن زيادة الحرف تقوم مقام إعادة الجملة مرة أخرى . التكرار. وذلك : أن الغرض فى استعمالها إنما هو الإيجاز والاختصار ، والاكتفاء من الأفعال وفاعليها ، فإذا زيد ما هذه سبيله فهو تناه فى التوكيد به ... [١]

وعلى مثل هذا المسلك سار علماء التوجيه فى الكثير من المواضع التى احتملت قراءاتها القول بزيادة الحرف تقديراً أو تحقيقا وهذا ما يتضح فيما يلى :

قوله تعالى "يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار" [٢]

قرأ أبو جعفر "يُذهب" بضم الياء وكسر الهاء ، وقرأ الباقون بفتحهما [٣]

(١)الخصائص ٢ / ٢٨٤ ، ويراجع معترك الأقران ١ / ٣٣٧ . ٣٣٨ ، وافتقان ٨٥/٢ .
(٢)النور / ٤٣ .
(٣)ينظر تقريب النشر / ١٤٩ . ١٥٠ .

أما قراءة أبى جعفر "يُذهب" بالضم وكسر الهاء فمن أذهب المعدى بالهمزة ، فقد ذكر الزجاج أن أوجهها العربية ضعيف لأن كلام العرب : ذهبت به وأذهبته ، وتلك جائزة أيضاً أعنى الضم فى الياء . [١]

وقد أشار ابن جنى إلى أن زيادة الباء هنا لتوكيد معنى التعدى ، فقال: الباء زائدة ، أى يذهب الأبصار ، ومثله فى زيادة الباء فى نحو هذا قوله : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" [٢]واعلم من بعد أن هذه الباء إنما تزاد فى هذا النحو . لتوكيد معنى التعدى ، كما زيدت اللام لتوكيد معنى الإضافة فى قولهم : يا بؤس للجهل ضراراً لأقوام

ولا تزيد الباء فى "يذهب بالأبصار" فريدة زيادة ساذجة ، وإن شئت حملته على المعنى ، حتى كأنه قال : يكاد سنا برقه يلوى بالأبصار أو يستأثر بالأبصار وذلك على معنى [٣] أى على معنى التضمين .

أما قراءة الباقين "يذهب بالأبصار" بالفتح فمن باب "فعل" أو "ذهب" الثلاثى والمعنى كما فى القراءة السابقة : يكاد سنا برقه يلوى يلوى بالأبصار أو يستأثر بالأبصار [٤]

وقريب منه الزيادة لتوكيد معنى النفى وذلك ما نراه فى : قوله تعالى "وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم" [٥]

قرأ حمزة " تهدى العمي" بتاء مفتوحة وإسكان الهاء من غير ألف ونصب "العمى" ، وقرأ الباقون بالباء مكسورة وألف بعد الهاء وخفض "العمى"[٦]

(١)معانى القرآن وإعرابه ٤ / ٣٩ .
(٢)البقرة/
(٣)المحتسب ٢ / ١١٤ ١١٥ ، ويراجع البحر المحيط ٤٦٥/٦ ، وحاشية الشهاب ٣٩٢/٦
(٤)المراجع السابقة .
(٥)النمل / ٨١ .
(٦)السبعة / ٤٨٦ ، والتجريد / ٥٠٢ ، والنشر / ٣٣٩/٢ .

هداه الحق ونحوه وإليه وله : أرشده إليه ودل عله بلطف دلالة من شأنها أن توصل إلى البغية. (١)

أما قراءة حمزة "تهدى ا لعمى " فالفعل "تهدى" على وزن "تفعل" فعل مضارع للحال أو الاستقبال " العمَى" مفعول به لتعدى الفعل إليه (٢)، والمعنى : وأنت يا محمد تهدى الذين عميت بصائرهم عن ءاياتنا ، ولكن عليك الدعاء (٣)

وأما قراءة الباقين فعلى أن "بهادى" اسم فاعل دخلت عليه الباء لتأكيد النفى ، وهو أيضاً للحال والاستقبال ، و"العمي" مضاف إليه (٤)، والمعنى : وما أنت بهادى الكفار عن ضلالتهم وشركهم، لنهم م يقبلوا ما دعوتهم إليه من الإيمان .

ويرى البحث فى ختم هذه الإطلالة أن الزيادة فى اللفظ دائما ما تشير أو تهدف إلى تحقيق غرض ما فى الكلام البليغ ، وإلا كانت لغواً فارغاً لا طائل من ورائه ،

بقى أخيراً أن يؤكد البحث على أن المعانى التى أدركها اللغويون وموجهوا القراءة لوسائل توكيد الكلام فيما سبق قد صارت أصولاً يرعاها البلاغيون بعد سواء فى حديثهم عن أحوال المسند إليه أم فى حديثهم عن بلاغة القيد (٥)

٢–**التكرير** : هو إعادة ذكر اللفظة أو الجملة مرتين فأكثر لفائدة ، مثال ذلك قوله تعالى "كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون" (٦)فقوله عز وجل :

---

(١)معجم ألفاظ القرآن الكريم / هدى .
(٢)الكشف ١٦٦/٢ .
(٣)معانى القراءات / ٣٦٢
(٤)الكشف ٢ / ١٦٦ .
(٥)ينظر : بغية الإيضاح ١ / ١٢٥ . ١٢٨ ، ٢٣٤ ، وشروح التلخيص ٣٦٠/١ وما بعدها.
(٦)التكاثر / ٣ – ٤ .

"كلا" فيه زجر عن اللهو والانغماس المطلق فى ملذات الحياة ، وقوله " سوف تعلمون" إنذار وتلويح بما ينتظر اللاهين الغافلين من عذاب يوم القيامة، وفى تكرير هذه العبارة ، تأكيد للزجر والإنذار معاً ، وهو تأكيد يدعم تصدير الثانية بكلمة "ثم" التى توحى بالتدريج الصاعد فى سلم الإنذار . (١)

وجدير بالذكر أن التكرير الذى عده البلاغيون من الإطناب هو الذى يوظف إيمائيا بحيث يقوم بوظيفته التعبيرية فى سياقه الخاص ، أما إذا افتقد تلك الوظيفة فإنه يعد – فى نظرهم – ضربا من العبث واللغو الذى لا طائل تحته .

ومما لا شك فيه أن التكرير المقصود –هنا – ما تثيره غالبا حاجة المتكلم إلى الاهتمام باللفظ المكرر فضلاً عن تقرير المعنى الذى يتضمنه ا لكلام فى نفوس متلقيه ، ولذا صح القول : إن الكلام إذا تكرر تقرر (٢)، كما أن التحول فى التركيب بين لفظين مترادفين أو متقاربين من أهم ما يستعمله الأديب فى صياغة النص الأدبي لإن هذا الوضع فى تأليف الألفاظ يزيد الكلام بياناً وحسن ديباجة واستدلالا بأوله على آخره . (٣) وربما جاء التكرير على سبيل المشاكلة فيلطف المعنى ويحسن ويزداد قبولا وتمكنا لدى السامع بعد أن يقف على ما كان من المعانى ما هو حقيقة وما هو مجاز (فإن يلزم التشاكل فى اللفظ مع صحة المعنى أولى) (٤)ويؤكد ويؤكد البحث على أن لهذا الأسلوب أهميته البلاغية فى الكلام ولذا تعرض له فى تراثنا معظم

(١)علم المعانى فى الموروث ال بلاغي / ١٥١ . ١٥٢ .
(٢)البرهان ٣ / ١٠ ، والإتقان ٢ / ٨٦ .
(٣)ينظر منهاج البلغاء وسراج الأدباء لـ حازم القرطاجنى / ٢٢٤ ، ويراجع جدلية الفصاحة بين البلاغيين واللغويين رؤية نقدية د. عبد الواحد الشيخ / ١٠٣ .،
(٤)جدلية معايير الفصاحة د. عبد الواحد الشيخ / ١٠٤ .

النحاة وكثير ممن تعاطوا صنعة الأدب ونقله [١]، كما تعرض له كذلك علماءالقراءات والمحتجين لها وأبانوا عن مزيته الكبرى فى تأكيد الكلام وتقرير مضمونه . وفيما يلي بعض المظاهر المترتبة على تغاير القراءات لتلك الظاهرة البلاغية " تعاقب أحد المترادفين على الآخر ومثاله :

قوله تعالى " فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ..." [٢]

قرأ غير حمزة " فأزلهما" بتشديد اللام من غير ألف ، وقرأ حمزة " فأزالهما" بتخفيف اللام وألف قبلها [٣]

أما قراءة غير حمزة "فأزالهما" فجذرها اللغوي " زلل" ، ويقال : زل يزل زلا : زلق ، وزلت القدم زلفت وانحرفت عن موضعها ، ويأتى "زل" بمعنى : أعرض عن الحق أو وقع فى الذنب [٤] وأزله فى الأصل : استرسال الرجل من غير قصد ... وقيل للذنب من غير قصد زلة : تشبيها بزلة الرجل [٥]

والمعنى :جعلهما الشيطان يزلان بإغوائه وحملهما على أن زلا ، أى أوقعهما فى الخطيئة وحملهما على اكتساب المعصية . [٦]

وأما قراءة حمزة " فأزالهما" فجذرها اللغوي "زول" ، والزوال فى اللغة يقال فى شيء قد كان ثابتاً قبل [٧]وهو بمعنى الذهاب ، والاستحالة

(١)ينظر معانى القرآن للفراء ١ / ١٧٦٧ ، وينظر للمزيد فى تفصيل ذلك : التكرير بين المثري د. عز الدين على السيد / ٨٨ .
(٢)البقرة / ، ٣٦ .
(٣)السبعة / ١٥٤ ، والتجريد / ٢١٩ ، والنشر ٢ / ٢١١ .
(٤)معجم ألفاظ القرآن الكريم / زلل .
(٥)المفردات للأصفهاني / ٢١٤ .
(٦)البحر المحيط ١ / ١٦٠ . ١٦١ .
(٧)المفردات للأصفخهاني / زول .

والاضمحلال [١]، وأزاله نحاة وأبعده [٢]والمعنى : فنحاهما الشيطان عنها [٣]: أى أبعدهما عن الجنة .

وعلى اختلاف المعنى بين القراءتين على نحو ما سبق يكون " فأزلهما" فى قراءة الجمهور بمعنى : أوقعهما فى الزلة ، "وأزالهما" فى قراءة حمزة من الزوال والتنحية ، ويكون قوله تعالى "فأخرجهما مما كانا فيه مرادفاً له ، ويبدو أن هذا – الترادف الذى يصحبه التكرار هنا – كان السبب وراء اختيار الطبري وغيره قراءة الجمهور فرارًا من التكرار . [٤]

وهذا الذى فر منه الطبري كما توحى به قراءة حمزة "فأزالهما" يراه أبو على الفارسي ذا قيمة بلاغية يقتضيها المقام فى موطن تفخيم القصة وتعظيمها ، قال : حجة حمزة فى قراءته "فأزالهما" .. أن قوله "يأدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها" تأويله : اثبتا فثبتا ، فأزالهما الشيطان ، فقابل الثبات بالزوال الذى هو خلافه ... فغ، قال قائل : فغنه إذا قرأ "فأزالهما" كان قوله بعد "فأخرجهما" تكرار ، فالقراءة الأخرى أرجح لأنها لا تكون على التكرير ، قيل : إن قوله "أخرجهما" ، ليس بتكرار لا فائدة فيه ، ألا ترى أنه قد يجوز أن يزيلهما عن مواضعهما ، ولا يخرجهما مما كانا فيه من الدعة والرفاهية ؟ وإذا كان كذلك لم يكن تكريراً غير مفيد ، وعلى أن التكرير فى مثل هذا الموضع لتفخيم القصة وتعظيمها بألفاظ مختلفة ليس بمكروه ، ولا مجتنب ، بل هو مستحب مستعمل . [٥]

(١)لسان العرب / زول .
(٢)المعجم الوسيط / زول .
(٣)الحر المحيط ١ / ١٦٠ –١٦١ .
(٤)جامع البيان للطبر ١ / ٢٣٤ . ٢٣٥ ، ويراجع الكشف ٢٣٥/١ . ٢٣٦ .
(٥)الحجة لأبى على الفارسي ٢ / ١٤ – ١٦ ، ويراجح حجة القراءات / ٩٤ ، والمحرر الوجيز ١٨٦/١ . ١٨٧ .

ويفهم من تحليل أبى على السابق أن التكرار يؤدى دورًا بلاغياً فيكون إما على التأسيس [١]لأنه أضاف إلى نسقه معنى جدياً لم يكن فى سابقه ، إذ كان فى الإخراج والزوال معنى زائد على مجرد الصرف والتنحية [٢]، وإما على التأكيد للقصة بتفخيمها وتعظيمها وتقرير معنى القصة فى النفوس ، تلبية لمقتضى الحال والمقام ، حين كان غرضها الأسنى تنبيه الإنسان لعدمه الأزلي ، والتحذير عن غوايته التى أخرج بسببها أبوه ءادم عليه السلام من الجنة والنعيم .

ويرى البحث أن المغايرة اللفظية للقراءتين هنا بين "فعّل" وأفعل" أضفت على الكلام بيانا وحسن ديباجة واستدلالا ، ثم إن فى هذا التغاير إشارة واضحة إلى القيمة الفعلية للتلوين بين المعانى المعجمية وأثر ذلك فى ترابط النص والتحام ألفاظه ، لذا فإن هذا الترابط وتلك المغايرة يعدها التحليل اللغوي صورة من صور الترابط الشكلى للنص ، ولذا صح أن مما يجعل النص مقبولا ، أو ما يسمى بالسبك (الترابط الشكلي" أو ما يسمى بإعادة الصياغة بالمتساويات أو المترادفات" إعادة اللفظ بمرادفه أو بكلمة أخص منه أو بكلمة أعم .

ومن مظاهر التكرار المترتبة على تغاير القراءات وتوجيهها تكرار العامل فى

قوله تعالى " فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبيانات وبالزبر وبالكتاب المنير" [٣]قرأ ابن عامر بخلف هشام "وبالزبر والكتاب"

(١)التأسيس كما عرفه الجرجاني : عبارة عن إفادة معنى آخر لم يكن أصلاً قبله ، فالتأسيس خير من التأكيد ، لن حمل الكلام على الإفادة خير من حمله على الإعادة . التعريفات / ٧١ .

(٢)ينظر الدر المصون ١ / ١٩٢ . ١٩٣ ، وفتح القدير ٦٨/١ .

(٣)آل عمران / ١٨٤ .

بالباء فى "وبالزبر" وقرأ هشام فى وجهه الثانى بالباء فيهما "وبالزبر وبالكتاب" ،وقرأ الباقون بحذف الباء فيهما [١]

اختلف اللغويون فى ذلك ، فقال قوم : مررت بزيد وعمرو ، ومررت بزيد وبعمرو سواء، وكذلك "جاءوا بالبيات والزبر" وبالزبر [٢]وقال قولم إن إعادة الجار وتكراره يفيد المغايرة بين المتعاطفات وتفصيل متعلقاته ، واستدلوا على ذلك بما قاله الخليل : مررت بزيد وعمرو مروراً واحداً ، كأنه مررت بهما فى حال واحد ، فكذلك : جاءت الرسل بالبينات والزبر فى حال وفى وقت واحد ، ومررت بزيد وبعمرو ، مرورين ، هذا لا يكون فى وقت واحد ، فكذلك قوله "جاؤوا بالبينات" ثم جاؤوا "بالزبر" [٣]وهذا يعنى أن بعض الرسل صلوات الله وسلامه عليهم جاءوا بالبيانات وهى المعجزات ، ثم جاءوا بعد ذلك بالزبر أى بالكتب على إرادة التفصيل لا على إرادة الجمع ، وعلى إرادة المغايرة لا الاشتراك فى العموم والخصوص فيما بينهما [٤]، ولولا إعادة الجار لتوهمنا أنهما من عطف الخاص على العام .

وذهب أبو على الفارسي إلى أن إعادة البناء ههنا كان لضرب من تأكيد الكلام ، وذلك لأن الواو فى قراءة "والزبر والكتاب" قراءة الجمهور . : قد أغنت عن تكرير العامل ، ألا ترى أنك إذا قلت : مررت بزيد وعمرو ، أشركت الواو عمراً فى البناء ، فأنت عن تكريرك الباء مستغن ، وكذلك جميع حروف العطف ، ووجه قوله – قارءة ابن عامر أن إعادة البناء وإن كان مستغنى عنها فإنه لضرب من التأكيد ، ولو لم يكرر لاتاغنى بإشراك حرف العطف ، وكلا الوجهين حسن عربى . [٥]

(١)السبعة / ٢٢١ ، والتجريد / ٢٧٨ ، وتقريب النشر / ١٠٣ .
(٢)حجة القراءات / ١٨٥ .
(٣)السابق نفسه ويراجع الحجة لابن خالويه / ١١٨ .
(٤)ينظر إرشاد العقل السليم ١ / ٦١٥ ، وحاشية الشهاب ٨٧/٣ .
(٥)الحجة ٣ / ١١٤ ، ويراجع الكشف ٣٧٠/١ . ٣٧١ ، والمحرر الوجيز ٣١٠/٣ .

هذا وقد ذهب ابن خالويه وأبو زرعة إلى أن إعادة الجار وتكراره يفيد المغايرة بين المتعاطفات وتفصيل متعلقاته . (١)

ويرى البحث أن اعتبار التأكيد غرضاً لهذا التكرار هو المناسب لنسق الآية الذى ورد فى مقام مواساة الرسول عليه السلام بذكر أحوال الرسل قبله ؛ إذ جاءوا لأقوامهم بشتى الوسائل منذرين ومبشرين ، ومع ذلك قوبلوا بالجحود والتكذيب ، ويتكرر هذا المعنى اتفاقا فى سورة فاطر "وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبيات وبالزبر وبالكتاب المنير" (٢) ، التى ناسب الإطناب بتكرار الباء نسقها ، كما ناسب التأكيد غرضها فى مجال الدعوة والإنذار (٣)أما المغايرة أو التفصيل بين "البينات والزبر والكتاب" فهى معان عقلية نستوحيها من مواضع قرآنية أخرى ، وليس بينها وبين ذكر الباء أو حذفها ثمة صلة من حيث الوضع اللغوي بله الحسن البلاغي .

ومهما يكن من أمر فإن التكرار . كأحد مظاهر الإطناب وصوره – يعد من : أحد المباحث الصوتية التى يعتمد عليها المتكلم ليؤكد المعنى ويوضحه ..... فبجانب ما يحدثه من تناغم صوتي ، فإنه يتمم المعنى ، ويبرز الدلالة ، فبمقدار حرية المتكلم على تنويع واختبار أصوات سلسلته الكلامية ، وتوظيفها لغايات معنوية وأسلوبية يظهر فى التكرار الذى يحدث نوعاً من التغييرات التى تحدد التعبير وتقوى الدلالة .(٤)

والحديث عن التكرار وصوره يحتاج إلى بحث مستقل اكتفيت ببعض الأمثلة التى تعكس أمره ويؤكد البحث على:

---

(١)الحجة / ١١٨ ، وحجة القراءات / ١٨٥ .

(٢)فاطر / ٢٥ .

(٣)ينظر البرهان للكرمانى / ٩٤ ، ويراجع التعبير القرآني د. فاضل السامرائى / ١٤٢ وما بعدها .

(٤)ينظر : جدلية معايير الفصاحة ، د. عبد الواحد الشيخ / ١٠٥ .

- يحسن الإطناب بالتكرار فى سرد القصص ويحسن كذلك فى مواطن الوعيد والتهديد تلبية لداعى المقام فى تنبيه الغافل وتقرير المعنى فى النفوس . [١]
- يحسن الإطناب بالتكرار عند طول الكلام وتباعد آخره من أوله [٢]
- إن التكرار قد حظى باهتمام العلماء منذ مرحلة باكرة ، وقبل أن يستقيم توجيه القراءات على سوقه ، وتصبح له مصنفاته الخاصة به ، فقديماً عنى به الجاحظ وأبان عن مواطنه... [٣]

ولقد كان من الطبيعي أن يفيد توجيه القراءة – كما أفاد البحث البلاغي – من تلك الجهود ، كما يحسب لتوجيه القراءات أنه شارك هذه الجهود الباكرة فى التنبيه على مواطن التكرار ، والتنويه بمقاصده البلاغية فيما ترتب على اختلاف القراءات من صوره مستلهما فى ذلك سياق الآي ومكان [٤]–

٣–ذكر الخاص بعد العام :

من وسائل الإطناب التى ارتادها علماء التوجيه وحملوا عليها بعض أوجه التغاير القرائي ذكر الخاص بعد العام : وفيما يلى نماذج لهذا الأسلوب .

– قوله تعالى "تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمرًا منيراً"[٥]

قرأ حمزة والكسائى وخلف "سُرُجا" بضم السين والراء من غير ألف ، وقرأ الباقون "سراجا" بكسر السين وفتح الراء وألف . [٦]

(١)ينظر المحتسب ٢ / ٢٦٢ – ٢٦٣ ، والبلاغة فى القراءات الشاذة عند ابن جنى / ٢٠٣ .
(٢)المحتسب ١/٥٠٤ . ١٠٥ . والبلاغة فى القراءات الشاذة عند ابن جنى / ٢٠٣ .
(٣)البيان والتبيين للجاحظ ١ / ١٠٥ .
(٤)تأويل مشكل القرآن / ١٤٩ .
(٥)الفرقان / ٦١
(٦)السبعة/ ٤٦٦ ، والتجريد / ٤٩٠ ، وتقريب النشر / ١٥١ .

السراج : الزاهر بفتيلة ودهن ويعبر به عن كل مضيء [١]

أما قراءة الجمهور . غير حمزة وصاحبيه – "سراجا" فاسم مفرد والمراد به : الشمس ، أى : وجعل فيها شمسًا" [٢]

وأما قراءة حمزة وصاحبيه "سرجًا" فجمع سراج على إرادة النجوم ، أى: وجعل فيها نجوماً [٣]، أو على إرادة الشمس والكواكب ، وذكر القمر تشريفاً[٤]

كان النحاس أول من فطن إلي هذا الأسلوب فى توجيه قراءة حمزة ومن معه إذ ينقل أن هذه القراءة أولى عند أبى عبيد ، لأنه تأول أن السرج النجوم ، وأن البروج النجوم ، وليس يجب أن يُتأول لهم هذا فيجيء المعنى نجوماً ونجوما ، لكن التأويل لهم أن أبان بن تغلب قال : السرج النجوم الدّرارى ، فعلى هذا تصح القراءة ، ويكون مثل قوله عز وجل "من كان عدوًا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال" ، فأعيد ذكر النجوم النيرة ، وإن كانت القراءة الأولى – قراءة الجمهور . أبين وأوضح تأويلاً . [٥]

وهكذا يقيس النحاس أو يقارن الأسلوب الذى تمخض عن قراءة الجمع على نظيره فما ءاية البقرة ، تلك الآية التى صارت فيما بعد تنظيراً لذلك اللون التعبيري ، بل ربما يستعاض بها عن ذكر مصطلحه ، ولم يكتف النحاس بذلك بل تعداه للتنويه بمقصده البلاغي فى القراءة نفسها ، حين قال: من قرأ هذه القراءة فالمعنى عنده ، وجعل فى البروج سرجا ، فإن قيل : فقد أعاد ذكر القمر ، وقد قال "سرجا" والقمر داخل فيها ، فالجواب : أنه

(١)المفردات للأصفهاني / سرج .
(٢)جامع البيان للطبري ١٩ / ٣٩ .
(٣)السابق نفسه .
(٤)إتحاف فضلاء البشر ٢ / ٣١٠ .
(٥)إعراب القرآن ١٦٥/٣ . ٢١٦٦ ، ويراجع الحجة لابن خالويه / ٢٦٦ ، وحجة القراءات / ٥١٢ ، والكشف ١٤٦/٢ .

أعيد ذكر القمر لفضله عليهما ، كما قال جل وعز : فيها فاكهة ونحل ورمان " (١)(٢)

ومما تجب الإشارة إليه هنا أن للقمر عند عرب شبه الجزيرة العربية – عموماً – وأهل مكة – خصوصاً – كما يحدثنا القرآن الكريم فى غير موضع – منزلة خاصة ربما تربوا على منزلة الشمس التى طالما يكتوون بوهجها المحرق ، وهم يعيشون فى صحراء ممتدة تقل فيها منابع الماء والكلأ ، فكان من مَنِّ الرحمن عليهم أن جعل القمر لهم نورًا لطيفا يهتدون به فى حلهم وترحالهم ، وقدره منازل ليعلمون مواقيت منسَكهم وعدد سنينهم على طريقتهم المعهودة فى حساب الشهور القمرية فهو لذلك من ألاء الرحمن الحقيقية بإفراد الذكر لمكان فضله عليهم وأهميته فى حياتهم .

ويخلف النحاس أبا على الفارسي فيطالعنا بفكر جديد حول الأسلوب الذى معنا فنراه يضع له مصطلحه الشائع أو المتعارف عليه ، وينص على دواعيه البلاغية واختلافها تبعاً لاختلاف السياق والمقام ، وتعددت لديه الأمثلة الواحد تلو الآخر ليدلل على تفشيه فى التنزيل العزيز وبليغ الكلام ، واكتفى هنا بما ذكره عند قوله تعالى "الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين" (٣)

قرأ عاصم والكسائى ويعقوب وخلف "مَالِك" ، وقرأ الباقون "مَلِكِ" (٤)

الملك : هو الله تعالى ، والمِلك : ذو المُلك ، وهو من المُلك مشتق (٥)، والملك : المتصرف بالأمر والنهي فى الجمهور ، وذلك يختص

(١)الرحمن / ٦٨ .

(٢) ينظر معانى القرآن للزجاج ٤٣/٥ . ٤٤ ، وإبراز المعانى ٦١٩ ، والبحر المحيط ٥١١/٦ ، وة الدر المصون ٢٦١/٥ .

(٣)الفاتحة / ٢ – ٣ .

(٤)السبعة/ ١٠٣ ، والتجريد / ٢٠٩ ، والنشر ٢٧١/١ .

(٥)لسان العرب / ملك .

بسياسة الناطقين [١]، والمالك : ذو الملك [٢] ، أو المختص بالملك والملك لا يكون إلا مالكا ، وقد يكون مالكا وليس بملك . [٣]

أما قراءة عاصم ومن معه "مالك" فاسم فاعل [٤]، والمعنى : لا يملك أحد فى ذلك اليوم معه حكماً كملكهم فى الدنيا [٥] ، وقيل : مالك إحداث يوم الدين وتكوينه [٦]

وأما قراءة الباقين "ملك" فصفة شبهة [٧]، والمعنى : أن لله الملك يوم الدين خالصا دون جميع خلقه [٨] وقيل : قاضى يوم الدين [٩]

سبحانه قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله "رب العالمين" فلا فائدة فى تكرير ذكر ما قد مضى فإنه لا يرجح قراءة "ملك " على مالك" ، لأن فى التنزيل أشياء على هذه الصورة قد تقدمها العامل ، وذكر بعد العام الخاص كقوله "اقرأ باسم ربك الذى خلق" [١٠] ثم قال : خلق الإنسان من علق [١١] فال١ذى وصف للمضاف إليه دون الأول المضاف ، لنهن كقوله: "هو الله الخالق البارئ" [١٢] ثم خص ذكر الإنسان تنبيها على أجل ما فيه من إتقان الصنعة ووجوه الحكمة ...

(١)المفردات للأصفهاني / ملك .
(٢)لسان العرب / ملك .
(٣)معانى القراءات / ٢٦ – ٢٧ .
(٤)إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٦٣ .
(٥)جامع البيان للطبري ١ / ١٤٩ .
(٦)الكشف ١ / ٢٦ .
(٧)إتحاف فضلاء البشر ٣٦٣/١ .
(٨)جامع البيان للطبري ١ / ١٤٩ .
(٩)إتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٦٣ .
(١٠)العلق / ١ .
(١١)العلق / ٢
(١٢)الحشر / ٢٤

وكقوله : "وبالآخرة هم يوقنون" [١] بعد "الذين يؤمنون بالغيب" [٢] والغيب يعم الآخرة وغيرها ، فخصوا بالمدح بعلم ذلك ، والتيقن له ، تفصيلاً لهم على الكفار المنكرين لها فى قولهم "لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم" [٣] .. فكما ذكرت هذه الأمور الخاصة بعد الأشياء العامة لها ولغيرها كذلك يكون قوله "مالك يوم الدين " فيمن قرأها بالألف بعد قوله : "الحمد لله ربه العالمين" [٤]

وقد تناقل العلماء كلام أبى على السابق منهم : ابن عطية [٥]، وأبو حيان [٦] ، والسمين الحلبى [٧]وغيرهم .

فالنيسابورى يخلد إلى الأسلوب الذى معنا وهو يحلل : قوله تعالى "إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم" [٨] قرأ ابن كثير وشعبة "المصدقين والمصدقات" بتخفيف الصاد فيهما، وقرأ الباقون بالتشديد [٩] أما قراءة ابن كثير وشعبة بالتخفيف فجمع لاسم الفاعل من "صدق" ، والمعنى : أن المؤمنين والمؤمنات ، قال مكى فى وجه التخفيف هو من التصديق بالله وكتبه ورسله . [١٠]

وأما قراءة الباقين بالتشديد فجمع لاسم الفاعل من "تصدق" وهو من التصدق ، أو هو من الصدقة ، وأصله : إن المتصدقين والمتصدقات ثم

---

(١)البقرة/ ٤ .
(٢)البقرة / ٣ .
(٣)سبأ / ٣ .
(٤)الفاتحة / ١ ويراجع الحجة لأبى على ١ / ٣١ ، وجامع البيان ١ / ١٤٩ ، وملاك التأويل ١/*١٧٠.
(٥)المحرر الوجيز ١ / ٧٠
(٦)البحر المحيط ١ / ٢٢
(٧)الدور المصون ١ / ٦٩ .
(٨)الحديد / ١٨ .
(٩)السبعة / ٦٢٦ ، والتجريد / ٦٠٣ ، وتقريب النشر / ١٧٩ .
(١٠)الكشف ٢ / ٣١٠

أدغم التاء فى الصاد لاتفاقهما فى الهمس وقربهما فى المخرج [١]، والمعنى أن المنفقين والمنفقات ، وفى هذه القراءة قوة من جهة المعنى ، وذلك أن كل من تصدق لله فهو مؤمن ، وليس كل من ءامن تصدق ، فالقراءة بالتشديد أعم لأنها تجمع الإيمان والصدقة . [٢]

ويرى النسيابوري أن : من قرأ بتشديد الدال فقط فمعناه : إن الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقرضوا ، ويندرج تحت التصديق الإيمان وجميع الأعمال الصالحات إلا أنه أفرد الإنفاق بالذكر تحريضاً عليه ". [٣]

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن :ابن الزبير الغرناطى (ت ٧٨٩ هـ) فيما نقله تلميذه أبو حيان – سمي هذا النوع من الأسلوب بالتجريد ، وهو أن يكون الشيء مندرجاً تحت عموم ثم تفرده ب الذكر ، وذلك لمعنى مختص به دون إفراد ذلك العام .... وهذا النوع من العطف أعطى عطف الخاص على العام على سبيل التفصيل هو من الأحكام التى انفردت بها الواو فلا يجوز ذلك فى غيرها من حروف العطف . [٤]

وكذلك نبه السيوطي عقيب نقله نص أبى حيان السابق إلى أن ا لمراد بالخاص والعام هنا ما كان فيه الأول شاملاً للثانى بين المتعاطفين بالواو لا المصطلح عليه بعام القرآن وخاصة المعروف فى علم الأصول والذى ذكره فى النوع الخامس والأربعون من علوم القرآن.

زعم البعض أن السيوطي لم يشر إلى ذلك اللون الإطنابي إلا من جهة عام القرآن وخاصه الذى ينصرف إلى دلالة اللفظة المفردة ، وهذا الزعم

---

(١)السابق نفسه .

(٢)السابق نفسه .

(٣)غرائب القرآن ١ / ٣٢٢ ، والإتقان ٢/٩٢ ، وروح المعانى ١ / ٢٥٠.

(٤)عول أبو حيان على ذلك فى توجيه قراءة النصب فى قوله تعالى " واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام" النساء / ١ ، ينظر البجر المحيط ١ / ٣٢٢ ، والإتقان ٢ / ٩٢ ، وروح المعانى ١ / ٢٥٠ .

بعيد عن الصواب حيث فرق السيوطي بين اللونين ، وأشار إلى ذكر الخاص بعد العام بوصفه وسيلة من وسائل الإطناب فى الإتقان وغيره [١]

يرى البحث فى ختم الحديث هنا أن ذكر الخاص بعد العام كان مما قدمه علماء القراءة إلى البحث البلاغي الخالص مكتملاً بمفهومه ومصطلحه ودواعيه على يد النحاس ، والفارسي والنيسابوري بدليل أن البلاغيين بعد ذلك لم يضيفوا إليه شيئاً يذكر الهم إلا نظمه فى طرائق الإطناب ووسائله ؛ حيث قال القزويني (ت ٧٣٩ هـ) : وهو إما بالإيضاح بعد الإيهام ... وإما بذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه ، تنزيلاً للتغاير فى الوصف منزلة التغاير من الذات. [٢]

(١)ينظر : الإتقان ٢ / ٢١ . ٢٢ ، ٩٣٢ ، وشرح عقود الجمان / ٧٢ ، ويقارن بالبلاغة فى القراءات الشاذة عند ابن جنى / ٢٠٠ – ٢٠١ .

(٢)بغية الإيضاح ٢ / ١٣٥ . ١٣٦ ، وشروح التلخيص ٣/٢١٦ .

المبحث الثالث :بلاغة الجمل في القراءات المتواترة :

المطلب الأول : الالتفات :

تمهيد :

يدور لفظ الالتفات فى اللغة حول معانى الصرف والتحول من جهة إلى أخرى ، يقال لفت وجهه عن القول : صرفه ، واللفت : ليّ الشيء عن وجهه ، ولفت فلانا عن رأيه ، أي : صرفته عنه ،. (١)

قال ابن الأثير : وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله ، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة ، لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب ... إلخ (٢)

ولا يبتعد المعنى الاصطلاحي عن الأصل اللغوي ، فمعنى الالتفات عند علماء المعانى هو : التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاث : التكلم ، والخطاب ، والغيبة ، بعد التعبير عنه بطريق أخرى من هذه الطرق، فلابد فيه عندهم من تعبيرين ، وأن يكون التعبير الثانى على خلاف ما يقتضيه ظاهر الكلام ، وعلى غير ما ينتظره المخاطب (٣) ، واشترطوا لذلك أن يكون المسند إليه فى الحالين واحدا ، وأن يكون التعبير الثانى – كما سبق – معدولاً به عن ظاهر الكلام (٤)

والالتفات بعد هذا عدول وتحول عن مبدأ المطابقة التى التزمها النحاة واللغويون . يبحث تحت ما ورد مخالفاً لمقتضى الظاهر

---

(١)اللسان / لفت .
(٢)المثل السائل ٢ / ٣ ، وانظر مثلاً البرهان ٣ / ٣٨٤ .
(٣)المنهاج الواضح للبلاغة للأستاذ حامد عونى / ٢٢٧ .
(٤)المنهاج الواضح للبلاغة للأستاذ حامد عونى ٤ / ٢٢٧ .

ويعد الالتفات من أكثر فنون البلاغة ظهوراً فى القراءات المتواترة ، يقول ابن الأثير : وهذا النوع وما يليه خلاصة علم البيان التى حولها يدندن وإليها تستند البلاغة وعنها يعنعن . [١]فهو من أجل علوم البلاغة وهو أميز جنودها والواسطة فى قلائدها وعقودها. [٢]

ويغلب الالتفات فى القراءات المتواترة على تلك الأوجه التى تتغاير قراءتها بين أحرف المضارعة (النون ، والتاء ، والياء) ، وهى أحرف تشير بحسب الإسناد إلى معانى التكلم والخطاب والغيبة على الترتيب .

وفيما يلي بيان لصور الالتفات فى القراءات والمتمثلة في :

أ- الالتفات من التكلم إلى الغيبة والعكس :

قوله تعالى " وأما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم."[٣]

قرأ حفص ورويس "فيوفيهم" بالياء ، وقرأ الباقون بالنون [٤]

وفى يفى وفاء وأوفى : إذا تمم العهد ولم ينقض حفظه [٥]، ويقال : وفاه حقه : أعطاه إياه كاملاً ، ووفى إليه حقه : أوصله وأداه إليه كاملاً ، ووفى بالشيء : أتى به كاملاً والقراءتان هنا مضارع "وفى" من باب "فعل" المضعف للمبالغة.

أما قراءة حفص ورويس "فيوفيهم" بالياء فالفعل فيها مسند لضمير الغيبة العائد على لفظ الجلالة فى قوله " إذ قال الله يا عيسى" [٦]فحمله على ما قبله فى لفظ الغيبة [٧]والمعنى : فيعطيهم الله جزاء أعمالهم.

---

(١)المثل السائر ٢ / ٣ .
(٢)الطراز / ٢٦٥ ، وانظر المحتسب ١ / ١١٤٥ ، والخصائص / ٣٦٠/١ .
(٣)آل عمران / ٥٧ .
(٤)السبعة / ٢٠٦ ، والتجريد / ٢٦٦ ، وتقريب النشر / ١٠١ .
(٥)المفردات للأصفهاني / ٥٢٨ .
(٦)آل عمران / ٥٥ .
(٧)الكشف ١ / ٣٤٥ ، والبحر المحيط ٤٧٥/٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤٨٠/١ .

وكان مقتضى الظاهر فى الفعل " فيوفيهم" الذى تكتنفه أفعال مسندة إلى ضمير المتكلم أن يكون كذلك لكن الأسلوب انتقل فجأة من أسلوب التكلم إلى أسلوب الغيبة على سبيل الالتفات البلاغي ، والخروج من ضمير المتكلم إلى ضمير الغيبة للتنوع فى الفصاحة [١]ونرى أن المقصود الأساسي هو لفت الجنان فضلاً عن لفت الأذهان ، فالفعل " فيوفيهم" مسند إلى الحاضر الذى لا يغيب أى يوفيهم الله ، فكأن توفية الأجور فى الآخرة عطاء من عطاء الألوهية التى عرف أهل الإيمان حقها فى الدنيا ، وكان لهم من توجيه الألوهية أكبر قسط فى دار العمل ، فها هم اليوم ينالون من عطاء الألوهية أكبر قسط فى دار الجزاء ، ومعلوم أن التوفية : دفع الشيء وافياً من غير نقص ، في الأجور وثواب الأعمال .

وأما قراءة الباقين " فنوفيهم" بالنون فالفعل فيها مسند لضمير المتكلم المعظم نفسه ، وهو الله تعالى ، وفى هذا إخبار من الله تعالى عن نفسه ، وفى هذا مناسبة لما قبله فى قوله "فأعذبهم" والمعنى : وأما الذين ءامنوا بعيسى وعملوا الصالحات : فنعطيهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملاً ، وعلى هذه القراءة جرى الكلام على نفس النسق ، وجرى آخر الكلام على وسطه ، وحمل وسطه على أوله مراعاة للمناسبة ، وإحكاماً للسبك. [٢]

ويكفي هنا أن نتذكر هذه الأفعال وأشباه الأفعال من أسماء الفاعل بحسب ورودها فى السياق الكريم " متوفيك . ورافعك . ومطهرك . وجاعل . فأحكم . فأعذبهم . فنوفيهم . نتلوه" [٣]

ولكن على الرغم من إسناد الأفعال جميعا إلى ضمير المتكلم فإن نظرة ثاقبة تريك أن النسبة الإسنادية المخبرة عن جزاء الكافرين بدأ الفعل

(١)البحر المحيط ٢ / ٤٧٥ .
(٢)التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ٨٠/٨ ،.
(٣)من الآيات / ٥٥ . ٥٨ ،

فيها بهمزة المتكلم "فأعذبهم" ، وأما النسبة الإسنادية المخبرة عن جزاء المؤمنين ، بدأ الفعل فيها بنون العظمة " فنوفيهم" ، وعلق هذا الجزاء الحسن على الإيمان المقترن بالعمل ، وذلك يشعر أن أهل الإيمان العاملين للصالحات لما كان قدرهم عند الله عظيماً ناسب الحديث عنهم التعبير بالفعل المبدوء بنون العظمة ، فلا يقدر على الثواب العظيم إلا الرب العظيم .

يقول أبو حيان : ... علق هنالك العذاب على مجرد الكفر ، وعلق توفية الأجر على الإيمان وعمل الصالحات تنبيهاً على درجة الكمال فى الإيمان ، ... ولم يأتى بالهمزة أى لم يقل : "فأوفيهم" لمخالفة االنسبة فهى الإخبار بين النسبة الإسنادية فيما يفعله بالكافر وبالمؤمن ..ولأن المؤمن العامل للصالحات عظيم عند الله ، فناسبه الإخبار عن المجازى بنون العظمة. (١)

هذا ، وخروج الكلام من ضمير المتكلم المفرد إلى ضمير المتكلم المعظم نفسه أو العكس يسميه أبو حيان فى موضع آخر من تفسيره بشبه الالتفات غير أنه لم يعلل له ثمة ، بذلك التعليل البلاغي. (٢)

ب-الالتفات من الغيبة إلى الخطاب والعكس :

قوله تعالى "فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون" (٣)قرأ شعبة ورويس "يجحدون" بياء الخطاب وقرأ الباقون بياء الغيب. (٤)

جحد الحق أو الدين يجحد جحوداً : أنكره وهو يعلم ، وجحد بالنعم أو بالآيات : كفر بها (٥)أما قراءة شعبة ورويس "تجحدون" بتاء الخطاب ،

(١)البحر المحيط ٢ / ٤٧٥ ، ويراجع معانى القراءات / ١٠٣ ، وحجة القراءات / ١٦٤ .
(٢)مدخل القراءات القرآنية فى الإعجاز البلاغي / ٧٧ .
(٣)النحل / ٧١ .
(٤)السبعة / ٣٧٤ ، والتجريد / ٤١٩ ، والنشر ٢ / ٣٠٤ .،
(٥)معجم ألفاظ القرآن الكريم / جحد .

فالفعل على الخطاب للكفار ردًا على الخطاب السابق فى قوله "والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق" [١]، أى : فعل بكم ذلك وتجحدون بنعمة الله، ويجوز أن يكون على معنى : قل لهم يا محمد أفبنعمة الله تجحدون ؟ فهو خطاب للكفار يحمل معنى التوبيخ . [٢]، والمعنى : أفبنعمة الله تكفرون أيها الكفار [٣]

فالقراءة بتاء الخطاب هنا على الالتفات البلاغي من الغيبة إلى الخطاب ، وقيمته البلاغية هنا تتجلى فى تصعيد حدة الإنكار ، مع مزيد من التوبيخ والتبكيت المباشر للكفار . وأما قراءة الباقين "يجحدون" بيان الغيبة فرداً على لفظ الغيبة قبله فى قوله تعالى "فما الذين فضلوا برادى رزقهم" وقوله " فهم فيه سواء" ، ولفظ الغيبة أقرب إليه من لفظ الخطاب. [٤]، والمعنى : أفبنعمة الله يكفرون حيث جعلوا لله شركاء [٥]

ويقوى هذه القراءة أن بعدها "أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون"[٦]

حيث جاءت فاصلتي الآيتين على نمط الاستفهام الإنكاري على المشركين الذين كفروا بنعمة الله وما شكروها. وأصل المعنى : "والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق" أى جعلكم متفاوتين فيه فأعطاكم منه أفضل مما أعطى مماليككم ، "فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء" يقول الله تعالى منكراً على المشركين جهلهم وكفرهم : إن الذين فضلوا من الملاك لا يرضون أن يساووا عبيدهم المملوكين فيما

(١)النحل / ٧١ .
(٢)الكشف ٢/ ٤٠ .
(٣)تفسير الجلالين ٢/٥٨٥.
(٤)الكشف ٢ / ٤٠ .
(٥)تفسير الجلالين ٢ / ٥٨٥ .
(٦)النحل / ٧٢ .

رزقناهم ، فكيف يرضى – سبحانه وتعالى بمساواة عبيده له فى الألوهية والتعظيم ، "أفبنعمة الله يجحدون" ؛ والفاء للعطف على مقدر أى أيشركون به فيجحدون نعمته. (١)

ج–الالتفات من الخطاب إلى التكلم والعكس :

قوله تعالى "قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبورًا" (٢) قرأ الكسائى "لقد علمت" بضم التاء وقرأ الباقون بفتحها. (٣)

العلامة : ما تترك فى الشيء مما يعرف به ، ومن هذا العلم لما يعرف به الشيء أو الشخص كعلم الطريق ... وسمى الجبل علما لذلك ، ومنه علمت الشيء : عرفت علامته وما يميزه ، ونقضيه : الجهل ، وتكون بعد ذلك المعانى الخاصة ، أو الاصطلاحية فى العلم ، وحين يكون العلم إدراك ذات الشيء يتعدى لمفعول واحد (٤)

أما قراءة الكسائى "علمتُ" بضم التاء فعلى الإخبار من المتكلم عن نفسه ، وهو سيدنا مسوى عليه السلام ، أخبر عن نفسه أنه ليس بمسحور كما وصفه فرعون بل هو يعلم أن ما أنزل هؤلاء الآيات إلا رب العالمين .

وأما قراءة الباقين "علمتَ" بفتح التاء فعلى الخطاب من سيدنا مسوى عليه السلام لـ " فرعون" ويتعدى ذلك أن قبله "وإنى لأظنك" (٥)على الخطاب(٦)، وهذا خبر من موسى لفرعون بأنه عالم بأنها آيات من

(١)تفسير ابن كثير ٥٠٥/٤ ، وتفسير أبى السعود ١٢٧/٥ .
(٢)الإسراء / ١٠٢ .
(٣)السبعة / ٣٨٥ ، والتجريد / ٤٢٩ ، وتقريب النشر / ١٣٥ .
(٤)معجم ألفاظ القرآن الكريم / علم .
(٥)الإسراء / ١٠١ .
(٦)ينظر : الحجة لابن خالويه / ٢٢١ ، والكشف ٥٢/٢ ، والبحر المحيط ٨٦/٦.

عند الله [١]، خاطبه موسى بذلك على سبيل التوبيخ ، أى : أنت بحال من يعلم هذا ، وهى من الوضوح بحيث تعلمها ، وليس خطابه على جهة إخباره عن علمه .[٢]

المطلب الثاني : تغاير القراءات وعلاقات الربط وتأثير الجوار أو(الفصل والوصل وعلاقته ب الوقف والابتداء) :

تمهيد:

من الوسائل التى تكشف عن دلالة النص وتحدد مراميه ما يسمى بالروابط ، وهذه الروابط تساعد على فهم المغايرة بين أساليب القرآن الكريم وقراءاته .

وقد لعبت الروابط دورًا ذا أهمية فى تحليل المغايرة فى القراءات القرآنية من خلال الجملة وتراكيبها فى السياق القرآني عند البلاغيين ، غير أن البلاغيين ركزوا فى دراستهم للروابط فى الجملة على أسس منها :

الوظيفة المعنوية بين التراكيب :

يرى الإمام عبد القاهرة أن المكونات البنائية فى الجملة ترتبط تلقائياً ، لتعطى المعانى ويعكس هذه الوجهة قوله : واعلم أن مما هو أصل أن يدق النظر ويفيض المسلك فى توفى المعانى التى عرفت أن تحدد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها فى بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول وأن يحتاج فى الجملة إلى أن تضعها فى النفس وضعاً واحداً . [٣]

ويقول : ليس النظم إلا أن ... ينظر فى الحروف التى تشترك فى معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية فى ذلك المعنى ، فيضع كلا من ذلك فى حاصل معناه ، نحو أن يبجئ ب ما فى الحال ، وب لا إذا أراد

(١)جامع البيان للطبري ١٧٣/٨ – ١٧٤ .
(٢)البحر المحيط ٨٦/٦ .
(٣)دلائل الإعجاز / ٦ ، ومبناها/ ١٨٩ .

نفى الاستقبال ، وب إن فيما يترجح به "أن" ويكون ، وب إ ذا فيما علم أنه كائن ، وينظر فى الجمل التى ترد فيعرف موضع الفصل من موضع الوصل . [١]

القوة التأثيرية والسياق :

تعرض الدرس البلاغي للناحية التعبيرية الجمالية فى أنساق الخطاب . التى تضفيها الروابط على الكلام ، وفى هذا يقول الإمام عبد القاهر : واعلم أن العلم بما ينبغى أن ينصع فى الجمل من عطف بعضها على بعض أوترك العطف منها ، والمجئ بها منثورة ، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة .

وهنا تكمن حقيقة هامة مفادها أن الروابط تلعب دروًا خطيراً فى التماسك النصى أو أقل التماسك السياقى فى التراكيب بمختلف أنواعها . [٢]

وهذا التماسك جزء من النظام اللغوي ، وقوة التماسك تنتج عن العلاقات التى تنشأ بواسطة الروابط والتى تبين فى داخل اللغة نفسها.

والفصل والوصل ظاهرتان متقابلتان أطال البلاغيون الوقوف إزاءهما وأولوهما عناية فائقة فى ميدان علم المعانى، وقد كان وراء ذلك – بلا شك – إحساسهم بغموض المسلك إليهما، ودقة الفروق بين المواضع المقتضية لكل منهما من جهة ، ثم إيمانهم بوظيفتهما فى اللغة الفنية وأن البلاغة هى: "معرفة الفصل والوصل [٣]،والتساؤل هنا : ما معنى الفصل والوصل لغة وفى اصطلاح البلاغيين ، ثم كيف عالجوا صور كل منهما.

أما الفصل فى اللغة فهو: الحاجز بين الشيئين ، يقال : فصل بينهما يفصل فصلاً فانفصل ، وفصلت الشيء فانفصل ، أى قطعته فانقطع ..

(١)دلائل الإعجاز / ٦ ، ٧٤ ، واللغة العربية معناها ومبناها / ١٨٩ .
(٢)ينظر : الإحساس بالجمال ، جورج سنيتانا ترجمة محمد مصطفى بدوي / ٢١٢ .
(٣)البيان والتبيين ٧٥/٤ .

والوصل خلاف الفصل ، يقال : وصل الشيء بالشيق يصله وصلاً وَصِلة.(١)

وأما الفصل فى الاصطلاح : فثمة تلازم بين المفهوم الاصطلاحي والمعنى اللغوي السابق فى غير مجال من مجالات البحث فى العربية والقرآن الكريم وقراءاته ، فهما يطلقان فى علم مرسوم الخط على رسم الكلمات حين تكتب موصولة الحروف أو مفصولة بعضها عن بعض ، ويبدو أن أوضح تطبيق نقل إلينا ذلك الإطلاق هو ما يتمثل فى أداء النص القرآني وتلاوته ، وذلك فيما يعرف بفن الوقف والابتداء فى علم التجويد، وهو فى الاصطلاح : قطع الصوت آخر الكلمة زمنا ما ، أو هو قطع الكلمة عما بعدها ، والوقف والقطع والسكت بمعنى ؛ وقيل : القطع عبارة عن قطع القراءة رأسا ، والسكت عبارة عن قطع الصوت زمناً ما دون زمن الوقف عادة ومن غير تنفس . (٢)

ويترد ذكر الفصل والوصل فى علم النحو فى مبحث الضمائر والعطف والنعت والمجرورات وغيرها .

أما البحث البلاغي فقد دار مصطلح الوصل والفصل فيه حول ما يقارب المدى اللغوي ، وظهرت هنالك بوادره فى هيئة ملاحظات أولية، ونصائح عامة تقوم هذه وتلك على مراعاة التناسب بين المعانى ، والاهتمام بمقاطع الكلام عند الخطابة والإنشاد ، فيقع الفصل بين المعانى المختلفة أو عند تمام الكلام ، ويكون الوصل بين المعانى المتآخية أو عند احتياج الكلام لما قبله . وجاء معنى الفصل والوصل فى نظر البلاغيين كالتالى :

(١)ن العرب : فصل ووصل .

(٢)منار الهدى فى بيان الوقف والابتداء / ٨ .

قالوا المقصود بالوصل هو : العطف بالواو بين الجمليتين المتتابعتين أو الجمل المتتابعة ، أما الفصل فهو إسقاط تلك الواو ، [1] وإيراد الجمل متتابعة بدونها ، ومعنى ذلك أن كلا من الفصل والوصل يتعلق بظاهرة العطف النحوي .

ومما ينبغى أن يشار إليه هنا أن العطف هو معنى نحوى وظيفى ، فالعطف هو التعليق أو الربط . بإحدى أدوات العطف . بين عنصرين من عناصر العبارة تعليقاً يفيد إشراكهما فى معنى واحد ...

وذلك المعنى الوظيفي يختلف – بلا شك – من أداة لأخرى فوق الدلالة على معنى العطف غير أن الواو تنفرد بين أدوات العطف (الفاء ، وثم ، وأو ، وحتى) باقتصارها على وظيفة التعليق أو الربط فحسب ؛ إذ هى لا تفيد – كما يقول النحاة – سوى مطلق الجمع بين الطرفين الأمر الذى يجعلها مظنة للبس ومدعاة للخطأ عند الفهم أو الاستعمال .ومن هنا جاءت عناية البلاغيين بالواو دون غيرها من أدوات العطف فى مبحث الفصل والوصل ويمكن تقديم وصفاً لتحليل العلماء للظاهرة التى معنا من خلال النماذج الآتية :

أولاً: تنوع الروابط المعنوية :

يقصد بالروابط المعنوية هنا تلك التى تستغنى بها الجمل حال التباس بعضها ببعض عن الربط الظاهر بالواو أو بغيرها ، ويترتب هذا الوجه فى توجيه القراءة على التغاير الإعرابي الذى يتعاقب على بعض القراءات ، وكسر همزة إن المشددة وفتحها بغير واو ، الذى يتعاقب على بعضها الآخر... إلخ من الظواهر التى لا يقف تأثيرها على الكلمة المفردة فحسب ،

(١)ينظر : قاموس قواعد البلاغة / ١١٤ وما بعدها ، ويراجع دراسات فى علم المعانى ، د. صبَّاح عبيد دراز ، ود. الشحات محمد أبو ستيت / ١٣٨ وما بعدها.

بل يمتد إلى الجمل وعلاقات بعضها ببعض ، وقد علل العلماء لها بما يكشف عن جهات الربط فيها ... ويمكن تتبع هذا التنوع فى الملامح الآتية :

١ – **ما تردد فيه الربط المعنوي بين المشاركة الإعرابية ، وتنزيل الجملة مما قبلها منزلة البدل أو البيان** . ومثاله : قوله تعالى "ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بأية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله" (١)

قرأ المدنيان "إنى أخلق" بكسر همزة "إنى" وقرأ الباقون بفتحها. (٢)

أما قراءة المدنيين بكسر همزة "إنى" فعلى جعل الكلام مستأنفا مبتدأ به (٣)، ويكون الكلام قد تم عند قوله "ربكم" ثم ابتدأ "إنى أخلق" ، ويجوز أن تكون "أن" وما بعدها تفسير لما قبلها فيكون المعنى بمنزلة من فتح وأبدل ، والمعنى : جئتكم بآية أنى أخلق (٤)

كما فسر الوعد فى قوله " وعد الله الذين ءامنوا" بقوله "لهم مغفرة"(٥)وكما فسر المثل فى قوله "كمثل ءادم" بقوله "خلقه من تراب" (٦)، وهذا أحسن ؛ ليكون فى المعنى كمن فتح وأبدل من ءاية (٧)

ويمكن أن تكون "إنى" فى موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف ، والمعنى: الآية إنى أخلق (٨)

(١)آل عمران / ٤٩ .
(٢)السبعة / ٢٠٦ ، والتجريد / ٢ / ٢٤٠ ، والنشر ٢ / ٢٤٠.
(٣)الكشف ١ /٣٤٥ ، وإملاء ما من به الرحمن ١٣٥/١
(٤)الكشف ١ / ٣٤٥ .
(٥)المائدة / ٩ .
(٦)آل عمران / ٥٩ .
(٧)ينظر الحجة لبى على ٣٦١/٢ . ٣٦٢ ، شرح الهداية ٢٢٠/١ – ٢٢١ .
(٨)الكشف / ٣٤٥/١ .

وأما قراءة الباقين بفتح همزة "إنى" فعلى جعل الكلام متصلا ببعضه ، فأبدل "أن" من "ءاية" فصال التقدير : جئتكم بأنى أخلق ، فـ "أن" فى موضع خفض ، وهو بدل الشيء من الشيء وهو "أنى قد جئتكم" (١)

وهكذا جاء التركيب بين القراءتين مختلفة فـ "إن" فى القراءة الأولى مبتدأ بها الكلام ، أو هى وما بعدها تفسير لما قبلها أو خبر لمبتدأ محذوف، و"أن" فى القراءة الثانية فى موضع خفض على البدلية .

والقراءة الأولى تفسير لما جاءهم به من ءاية ، وهى : خلق الطين طيراً ، والقراءة الأولى تدل على أنه جاءهم بخلق الطين طيراً ، ويكون المعنى مختلفاً على القول بالاستئناف فى القراءة الثانية ، لأنه يثبت لهم أنه يخلق من الطين طيراً .

وبعد هذا التحليل يرى البحث أن أجزاء الآية تترابط فيما بينها ترابطاً معنوياً ، غاية ما هناك أن جهة هذا الترابط تتنوع بتغاير وجهي القراءة ، فهى تقوم فى قراءة الفتح . القراءة الثانية – على المشاركة الإعرابية بإيقاع جملة "أنى أخلق لكم" موقع المفرد المنسبك فى جملته ، فكانت لذلك أوثق فى الربط .

أما على قراءة الكسر فجمله "أنى أخلق لكم" مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، ولكنها مع ذلك تنزل مما قبلها منزلة البدل فى التفسير والبيان ، لأن الاستئناف يؤتى به تفسيراً لما قبله (٢)، وهذا هو السر وراء عدم استغناء الآية عن العطف الظاهر رأسا.

(١)لكشف ١ / ٣٤٤ . ٣٤٥ .

(٢)ينظر البحر المحيط ٤٦٥/٢ ، ومنار الهدى / ٧٨ ، وحاشية الشهاب ٢٨/٣ .

– ويجرى على النسق السابق . المشاكلة . توجيه قراءتي الفتح والكسر فى همزة " أنا صببنا" [١]من قوله تعالى "فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا" [٢]

٢– ما تردد فيه الربط المعنوي بين المشاركة الإعرابية ووقوع الجملة الثانية مما قبلها موقع التأكيد ، ومثاله : قوله تعالى "ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون" [٣]

أما قرأ ابن عامر "أنهم لا يعجزون" بفتح الهمزة ، وقرأ الباقون بكسرها. [٤]

أما قراءة ابن عامر " أنهم" بفتح الهمزة فعلى إضمار اللام وحذفها ، والمعنى : ولا يحسبن الكفار أنفسهم فاتوا لأنهم لا يعجزون ، أى : لا يفوتون، فـ "أن" فى موضع نصب لحذف اللام ، أو فى موضع خفض على إعمال اللام لكثرة حذفها مع "أن" ، وهو مروي عن الخليل والكسائي [٥] وأما قراءة الباقين "إنهم" بكسر الهمزة فعلى الاستئناف والقطع عما قبله ، وفيه معنى التأكيد [٦]، والمعنى : إنهم لا يعجزون فى الدنيا حتى يظفرك الله بهم، وقيل : فى الآخرة [٧]

والمتأمل فى التركيب بين القراءتين يجده مختلفاً ، فـ "أن" على قراءة الفتح علة لكلام سابق ، و"إن" فى القراءة الثانية يبتدأ بها كلام جديد ، ونشأ

(١)ينظر: السبعة / ٦٧٢ ، والتجريد / ٦٣٤ ، وتقريب النشر / ١٨٦ .

(٢)عبس / ٢٤ – ٢٥ ، وينظر : معانى القرآن للفراء ١ / ١٨١ ، ٣ / ٢٣٨ ، والحجة لأبى على ٣٧٨/٦ ، والكشف ٣٦٢/٢ –٣٦٣ ، وحجة القراءات / ٦٨٣ . ٦٨٤ ، وشرح الهداية ٢ / ٥٢٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٢٩ ، ومنار الهدى / ٤١٩ ، وحاشية الشهاب ٣٢٤/٨ .

(٣)الأنفال / ٥٩ ، ٦٠

(٤)السبعة / ٣٠٨ ، والتجريد / ٣٥٧ ، والنشر ٢٧٧/٢ .

(٥)الكشف ٤٩٤/١ ، ويراجع الجامع لحكام القرآن ٢٨٧٣/٤ .

(٦)السابقان .

(٧)الجامع لحكام القرآن ٤ / ٢٨٧٣ ، ويراجع إعراب النحاس ١٩٢/٢ ، والبحر المحيط ٥١٠/٤ .

عن هذا التغاير بين القراءتين اختلاف فى المعنى ، فقراءة الفتح تتحدث عن الكفار وتقول لهم : لا تظنوا أنكم قد فلتم من العقاب والظفر بكم لأنهم أهون على الله من أي شيء ، وقراءة الكسر : تخبر خبراً مستأنفا مؤكدًا عن أن الكفار فى قبضة الله وفى قدرته أن ينكل بهم فى أى وقت شاء وعليه فجملة "أنهم لا يعجزون" ترتبط بما قبلها على قراءة الفتح ارتباطا ا المفرد بجملته ، أما على قراءة الكسر فلا محل لها من الإعراب ، ولكنها وقعت مما قبلها موقع التذييل الذى يؤكد مضمونه ، ولذا ترك العطف رأسا بينهما ، ومرد هذا ربما يرجع إلى أن "سبقوا" و "لا يعجزون" يجريان . حسبما ورد فى التفسير . على معنى : فاتوا ولا يفوتون ، أى لا يحسبن الكفار أنفسهم فاتوا من القتل أو العذاب ، إنهم لا يفوتون ..

٣-ما تردد فيه الربط المعنوي بين المشاركة الإعرابية والاستئناف البياني

ومثاله : قوله تعالى : "فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ..." [١] قرأ ابن عامر وأبو بكر – شعبة – "يسبح" بفتح الباء ، وقرأ الباقون بكسرها . [٢]

سبح تسبيحا : نزه الله أو قال : سبحان الله ، أو تنزيها الله [٣]

أما قراءة ابن عامر وشعبة : "يسبح" بفتح الباء الموحدة فهى مضارع مبنى للمفعول ، ماضيه "يسبح" ماضيه سُبح : ونائب الفاعل الجار والمجرور ، و"له" ، و"رجال" مرفوع بفعل محذوف كأنه قيل : من يسبحه؟ فقيل : رجال ، أو خبر لمبتدأ محذوف أى :يسبح رجال ، وعلى هذا لا يوقف على رجال [٤]، والمعنى : يصلى له فيها بالغدو والآصال ،

(١)النور / ٣٦ – ٣٧ .

(٢)السبعة / ٤٥٦ ، والتجريد / ٤٨٤ ، واتقريب النشر / ١٤٩ .

(٣)معجم ألفاظ القرآن الكريم / سبح .

(٤)الكشف ١٣٩/٢ ، وإيضاح الوقف والابتداء / ٧٩٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ١٣٩/٣ ، وشرح الأشموني ١ / ٣٠٥ – ٣٠٦ .

أو : يسبح الله فى البيوت التى أذن أن ترفع [١]، فيكون يسبح بمعنى : ينزه. ينزه. وأما قراءة الباقين "يسبح " مضارع " سبح" مبنى للفاعل ، وهو "رجال" ، وعلى هذا يوقف على "الآصال" بالنظر إلى المعنى [٢] ، والمعنى : يصلى فيه رجال بالغدو والآصال . [٣].

وهكذا جرت القراءة بفتح الباء على ما لم يسم فاعله ، فأ "له" يقوم مقام الفاعل ، ثم خر من هو الذى يسبح له بقوله "رجال لا تلهيهم " كأنه لما قيل : يسبح له فيها ، فقيل : من هو الذى يسبح ؟ فقيل : رجال ، صفتهم كذا وكذا ، وله نظائر فى القرآن ..

وأما قراءة الكسر ، فعلى بناء الفعل للفاعل ، وهو "رجال" فارتفعوا بفعلهم [٤]

والخلاصة أن اتصال الكلام بعضه ببعض عن طريق المشاركة الإعرابية تعكس قراءة الجمهور بكسر الباء وقد عد هذا الاتصال أوثق من غيره ، ولذلك قبح الوقف على قوله تعالى "والآصال" مع كونه رأس ءاية ، لتشوف الفعل إلى الالتباس بفاعله ، ولكن هذا لا يقلل مطلقاً من القيمة البلاغية للاستئناف البياني المترتب على قراءة ابن عامر وشعبة ، لأن : مثل هذا الأسلوب يجاذب النفوس ، ويستدعى نشاطها ، ويثير فضولها للاستشراف والسؤال ، حتى إذا أتى الاستئناف كان جواباً شافيًا ، وبهذا يتمكن المعنى فى النفس أشد تمكن ، ويقع منها أمكن موقع ، لأنه أتى بعد

(١)جامع البيان للطبري ٩ / ٣٦٨ .
(٢)الكشف ٢ / ١٣٩ ، والبحر المحيط ٢٥٨/٦.
(٣)جامع ا لبيان للطبري ٣٦٨/٩ .
(٤)المراجع السابقة فى "١ ، ٢ ، ٣" ويراجع شرح الهداية ٢ / ٢٤٤ ، وحاشية الشهاب ٦٠ / ٣٨٦ ، ومنار الهدى / ١٦٨ .

انتظار ، وأطل بعد استشراف ، وأطرق بعد ترقب ، وفرق بين أن يفاجئك المعنى ، وبين أن تنتظره وترتقبه . [١]

ثانياً: الربط بالواو بين المفردات فى التركيب:

والمقصود من الربط الظاهر هنا هو تغاير إعراب ما بعد الواو فى القراءات المتواترة مما يؤدى إلى تحول فى التركيب ، وهو تغير المعطوف عليه تارة ، ومن ثم تتنوع الاعتبارات المعنوية المترتبة عليه ، وقد يسلم هذا التحول إلى تنوع معنى الواو بين دلالتها على الربط الظاهر تارة أخرى والاستئناف هنا إن كان يدل على الابتداء بمعنى جديد ، فهو لا يدل على ودلالتها على الاستئناف أن هذا المعنى منبت الصلة عما قبله ، ونستطيع أن نستشف هذا المعنى فى تحليل العلماء لـ : قوله تعالى "وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون" [٢]

قرأ حمزة والكسائى وأبو جعفر " وحور عين كأمثال" بخفض الاثنين وقرأ الباقون برفعها [٣] ، أما قراءة حمزة ومن معه بالخفض " وحور عين" فعلى العطف على "أكواب" من قوله تعالى " بأكواب وأباريق ..." [٤] والعطف هنا فى اللفظ دون المعنى لأن الحور لا يطاف بهن [٥]، والمعنى : يتمتعون بأكواب وفاكهة ولحم وحور عين . [٦]

ويجوز أن يكون العطف من غير حمل على المعنى فتكون الحور مما يطاف بهن عليهم ، ولا ينكر أن يكون لأهل الجنة لذة فى الطواف عليهم

(١)مدخل القراءات القرآنية فى الإعجاز البلاغي / ١١٥ .
(٢)الواقعة/ ٢٢.
(٣)السبعة / ٦٢٢ ، والتجريد / ٥٩٩ ، وتقريب النشر / ١٧٨ .
(٤)الواقعة / ١٨
(٥)إملاء ما من به الرحمن ، ٢٥٤/٢ .
(٦)الجامع لحكام القرآن للقرطبي ٦٣٧٤/٩ .

بالحور [١] ، والمعنى : ويطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ... وفاكهة ... ولحم ... وحور عين .

ويجوز أن يكون العطف على "جنات" [٢] ، أى فى "جنات" وفى حور [٣]

قال أبو على الفاسى : ووجه الجر : أن تحمله على قوله "أولئك المقربون ، فى جنات النعيم" [٤] ، والتقدير : أولئك المقربون فى جنات النعيم، وفى حور عين ، أى : فى مقارنة حور عين ومعاشرة حور عين ، فحذفت المضاف ... [٥]

وأما قراءة الباقين برفع "حور عين" فعلى أنه "حور" مبتدأ حذف خبره تقديره : عندهم أو لَهُم [٦] أو ثم [٧]والمعنى: وعندهم حور عين ، أو : لهم حور عين [٨]، وسوغ الابتداء بالنكرة الوصف وقيل الرفع على تقدير : ونساؤهم حور [٩]

وقيل الرفع عطفا على : "ولدان" أى : أى يطفن عليهم للتنعيم لا الخدمة . [١٠]

قال أبو على الفارسي فى وجه الرفع أنه حمل على المعنى يريد معنى قوله تعالى "يطوف عليهم ولدان ... بأكواب" [١١] ويجوز أن يحمل الرفع

(١)السابق نفسه .
(٢)الواقعة / ١٢ .
(٣)إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٢٥٤ .
(٤)الواقعة/
(٥)الحجة ٤ / ٢٠ .
(٦)اتحاف فضلاء البشر ٢ / ٥١٥.
(٧)إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٢٥٤ .
(٨)جامع البيان للطبري ١١ / ٦٣٢ .
(٩)إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٢٥٤ .
(١٠)إملاء ما من به الرحمن ٢/٢٥٤ .
(١١)الحجة ٤ / ٢٠ .

على قوله "على سرر موضونه " يريد : وعلى سرر موضونة حور عين ، أو وحور عين على سرر موضونة ، لأن الوصف قد جرى عليهن فاختصصن، فجاز أن تقع بالابتداء ، ولم يكن كالنكرة إذا لم توصف نحو : "فيها عين" [١][٢]والفرق بين القراءتين هنا أن :

القراءة بالجر تفيد أن الحور العين مما يتنعم به السابقون فى الجنة ، فألوان التنعم متعددة منها : الحور العين ، أو أن الحور العين مما يطاف بهن على السابقين المقربين فى الجنة ، والقراءة هنا تعطى جملة فعلية .

والقراءة بالرفع فيها إخبار أن الحور العين كائنة عند السابقين المقربين فى الجنة ، أوهى لهم لا لغيرهم ، والقراءة هنا تعطى جملة اسمية.

ويلاحظ من التحليل السابق لوجهي القراءة هنا "أن ثمة ارتباط بين سياق الآيات والعطف بالواو أو قط ارتباط حيث جاء التحول فى التركيب مقصود ؛ لتوضيح القيمة الدلالية الأسنى ، فقد ذكر الحق تباركت أسماؤه فى الآيات الكريمات العطاء الذى منحه له الجنة ، فبدأ بالمطعوم ، وختمه بما تشتاق له النفس من المتعة بعد إشباع الرغبة بذهاب الجوع ، ليتحول من بعد ذلك إلى إشباع الرغبة من الحور العين ، وهو ما أحدثه التحول فى التركيب من الجر إلى الرفع ، وذلك مألوف وطبعي فى النفس البشرية ، إذ الجوع أسبق من غيره فى تلبيته ، لذا قدمته الآيات ثم أتمت هذا العطاء بالحور العين ، ولا ضير فى ذلك إذا تعددت أمور العطاء بتعدد التراكيب بين الرفع والجر ، وهو إعجاز قرآني ، لأن فى ذلك تثبيتا للعطاء على جهة التكثير والإفاضة ، وربما كيلا تتساوى منزلة الحور مع الفاكهة ، ولحم الطير ؛ لما فيه من الوحشة وإلى ذلك ذهب علماء التفسير . [٣]

(١)الغاشية / ١٢ .
(٢)الحجة ٤ / ٢٠ .
(٣)مفاتيح الغيب ٢٩ / ١٥٥ .

ثالثاً: الربط الظاهر بالواو بين الجمل :

ينتج عن تغاير قراءات ما بعد الواو ، سواء كان فعلاً أم اسماً أم حرفاً ، تنوع معنى ما بعد الواو بين دلالتها على إشراك ما بعدها مع حكم ما قبلها ، وبين دلالتها على الاستئناف ، ولا يقف أثر ذلك عند حدود الكلمة المفردة على نحو ما ذكر، بل يمتد إلى مواقع الجمل فى التركيب ، وعلاقات بعضها ببعض ، وينشأ عن هذا التغاير تحول فى تركيب الجملة ، وهو ما يسلمنا فى كثير من السياقات إلى قيم بلاغية مناط بها الحكم الشرعي والمتأمل فى القراءات المتواترة التى تعكس الربط السابق يجدها تتغاير فى الجانب الحركي وكذا الذوات ومن التغاير القرائي الذى جمع الوجهين السابقين :

- قوله تعالى : "إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير" (١)

قرأ ابن عامر وحفص "ويكفر" بالياء ورفع الراء ، وقرأ المدنيان وحمزة والكسائى وخلف بالنون والجزم ، وقرأ الباقون بالنون والرفع . (٢)

الكفر فى اللغة: ستر الشيء ، ووصف الليل بالكفر : لستره الأشخاص ، والزارع : لستره البذر فى الأرض ، وليس ذلك باسم لهما ... والكفارة : ما يغطى الإثم ، والتكفير : ستره وتغطيته حتى يصير ما لم يعمل، ويصح أن يكون أصله إزالة الكفر (٣)

والقراءتان مضارع "كفر " من باب "فَعَل" الدال على المبالغة.

أما القراءة بالياء والرفع "ويكفر" فالفعل فيهامسند لضمير لفظ الجلالة ، وهو عائد على قوله "فإن الله يعلمه" (٤)، أو إلى ضمير الإخفاء أو الإيتاء

(١)البقرة / ٢٧١
(٢)السبعة/ ١٩١ ، والتجريد / ٢٥٥ . ٢٥٦ ، والنشر ٢/٢٣٦ .
(٣)المفردات للأصفهاني / ٤٣٣ . ٤٣٥ .
(٤)البقرة/ ٢٧٠

المفهومين من قوله "وإن تخفوها وتؤتوها" [١]والمعنى : ويكفر الله عنكم بصدقاتكم من سيئاتكم [٢]، فيكون الفعل مسنداً إلى فاعله الحقيقى ، أو: ويكفر إخفاء الصدقات أو إيتاؤها عنكم من سيئاتكم فيكون الفعل مسنداً للسبب فى التكفير ، وقد ذهب أبو على الفارسي إلى أن من قرأ بالياء ورفع هنا جاء رفعه من وجهين أحدهما : أن يجعله خبر مبتدأ محذوف تقديره : ونحن نكفر عنكم من سيئاتكم ، والآخر : أن يستأنف الكلام ويقطعه مما قبله ، فلا يجعل الحرف العاطف للإشراك : ولكن لعطف جملة على جملة" [٣] و أما القراءة بالنون جزما أو رفعا فالفعل فيها مسند لمضير المتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى [٤] أى : نستر ونمح عنكم من سيئاتكم، معنى: مجازاة الله عز وجل نخفى الصدقة بتكفير بعض سيئاته بصدقته التى أخفاها . [٥]

قال أبو على الفارسي : وأما من جزم فقال "ونكفر" فإنه حمل الكلام على موضع قوله : "فهو خير لكم" ؛ لأن قوله "فهو خير لكم" فى موضع جزم ، ألا ترى أنه لو قال : "وإن تخفوها" يكن أعظم لأجركم لجزم؟

فقد علمت أن قوله : "فهو خير لكم" فى موضع جزم ، فحمل قوله : "ونكفر" على الموضع ... [٦] والمتأمل فى أقوال علماء التفسير يجد تغايراً فى أقوالهم فى أى الوجهين السابقين أبلغ فى الدلالة على مراد الآية فى سياقها ، فالطبري ومن وافقه يذهبون إلى اختيار وجه الجزم ، ويعلل الطبري ذلك بأنه : يؤذن بجزمه أن التكفير ، أعنى تكفير الله من سيئات المصدق ،

(١)السبعة / ١٢٩١ ، والتجريد / ٢٥٥ . ٢٥٦ ، والنشر ٢٣٦/٢ .
(٢)جامع البيان للطبري ٥٨٦/٥ .
(٣)الحجة ١ / ٤٨١ .
(٤)شرح النويري ٤ / ١٣١ .
(٥)جامع البيان للطبرى ٥٨٤/٥ . ٥٨٦ .
(٦)الحجة ١ / ٤٨١.

لا محالة داخل فيما وعد الله المصدق أن يجازيه على صدقته ، لأن ذلك إذا جُزم مؤذن بما قلنا لا محالة ، ولو رفع كان قد يحتمل أن يكون داخلا فيما وعده الله أن يجازيه به ، وأن يكون خبراً مستأنفا انه يكفر من سيئات عباده المؤمنين على غير المجازاة على صدقاتهم [١] ، ووافقه فى وجهته السابقة : أبو زرعة [٢]، وابن عطية [٣]، والقرطبي .[٤] ويذهب أبو حيان ومن نحا نحوه إلى أن : الرفع أبلغ وأعم ، لأن الجزم يكون على أنه معطوف على جواب الشرط الثانى ، والرفع يدل على أن التكفير مترتب من جهة المعنى على بذل الصدقات أبديت أو أخفيت ، لأنا نعلم أن هذا التكفير متعلق بما قبله ، ولا يختص التكفير بالإخفاء فقط ، والجزم يخصص به ، ولا يمكن أن يقال إن الذى يُبدى الصدقات لا يكفر من سيئاته ، فقد صار التكفير شاملاً للنوعين من إبداء الصدقات وإخفائها، وإن كان الإخفاء خيراً من الإبداء [٥]، وقريب من هذا أشار تلميذه السمين الحلبى[٦]

ومع وجاهة التحليل السابق ، فإن هذا التنوع لا يدفعنا إلى ترجيح أحد الوجهين على الآخر فضلاً عن القول بأبلغيته ، وإنما يدفعنا إلى اعتبار الوجهين فى آن معا على نحو ما علل به ابن جرير ، وأبو حيان وجمع بينهما أبو علي .

هذا ولا يقدح فى صلة القراءات السابقة بسياق الآية الحكيمة وحمل العلماء الواو فى قراءة الرفع على الاستئناف ، فهو وإن كان يشعر بالابتداء

(١)جامع البيان ٥٨٤/٥ . ٥٨٦ ، ويراجع إعراب النحاس ٣٣٩/١ .
(٢) حجة القراءات / ١٤٧ .
(٣)حجة القراءات / ١٤٧ .
(٤)المحرر الوجيز ٣٣٥/٢ .
(٥)البحر المحيط ٢ / ٣٢٥ . ٣٢٦ .
(٦)الدر المصون ١ / ٦٥٢ .

بمعنى جديد ، لا يعنى انقطاع الصلة بينه وبين ما قبله ، وإنما هو ابتداء جزئي بمعنى جديد وثيق الصلة بالغرض العام الذى وردت فيه الآية . (١)

لأجل هذا حمل أبو على الفارسي وجه الرفع على عطف الجملة مكتفيا بما ناسب السياق العام ، والغرض المعنى هنا ، وربطه أبو حيان بنسق الآية إذ هو كما قال : متعلق بما قبله.

وأخيراً فإن الوصل والفصل . أو ما يقال : الاستئناف أو القطع أو الوقف . الذى يتردد فى تخريج مثل هذه المواضع ، والذى يجعل التحول فى التركيب أثرا ذا دلالة بلاغية فى طرائق التعبير القرآني ، ونسق الآيات لا يدل . حسبما يتبادر إلى الذهن – على أن الاستئناف منبت الصلة عما قبله ، ولكنه يضيف إلى عرى الربط بينها عروة أخرى تزيد مضمونه تأكيداً، وهى إشارات ألمح إليها أبو على الفارسي ووتتبعها من جاء بعده ، وذلك أنه ينتج معنى جزئياً جديداً يدل فى أغلب أحواله على ثبات الحكم ، وقد يشعر بتفرد الفاعل به ، ولا سيما عند تعلقه بالله سبحانه ، للتنبيه على أن تحققه منوط به وحده لا يشركه فيه غير .

وتتأكد بلاغة الاستئناف بما ذكره الزمخشري هنا من أن فيه شحذا للهمة كيفما رغبت النفس فى تقديم الصدقات على أى وجه تصدقوا به ، ولما فيه من الدعوة إلى عمل الخير والحث على المساعدة ، كما أن إظهار الصدقات – فيه – إيقاظ الشعور الإنساني فى نفوس الآخرين ، ومحاولات جادة للقضاء على العوز والمعوزين ، وهو مما لا يكون من إخفاء الصدقات . (٢)

(١)مدخل القراءات القرآنية فى الإعجاز البلاغي / ٩٧ .

(٢)الكشاف ١ / ٣٩٧ ، ويراجع القطع والائتناف للنحاس / ٢٠١ ، والكشف ٣١٧/١ ، والإتحاف ٤٥٦/١ . ٤٥٧ .

ومن التغاير الحركي للاسم الواقع بعد الواو لتغاير معنى الواو ، ما تردد فى تحليل قراءتي "والجروح" بالرفع والنصب من قوله تعالى "وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص . [١][٢]

ومن التغاير التركيبي الناتج عن التغير فى معنى الواو بسبب قراءة الحرف بعده تغاير كسر الهمزة وفتحها فى غير موضع من آي القرآن ومن ذلك ما نراه فى تحليل العلماء لقوله تعالى "وأن الله" من قول الله عز وجل "يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين" [٣][٤]

رابعاً: تنوع الروابط بين اللفظى والمعنوي :

تتغاير القراءات المتواترة فى الموضع الواحد تبعاً لإثبات الربط اللفظي وحذفه ، ويترتب على ذلك تنوع الروابط فى تراكيب الجمل ، فتارة يأتى تنوع هذه الروابط لفظياً أى بلفظها، وتارة يكون التنوع معنوياً ، أى : بجهة من جهات الربط الأخرى التى يتحقق بها الالتباس بين الجمل سواء أكانت بالمشاركة الإعرابية أم بغيرها.

ومع اتفاق معظم العلماء على القول بتنوع الروابط فى غير موضع يجتمع عليه التحول فى التركيب بإثبات أداة الربط وحذفها نراهم يختلفون فى الإبانة عن بواعثه ويمكن تناول معالجتهم لتنوع الربط بين حذف الواو وإثباتها في جملة حال من : قوله تعالى : "ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي

---

(١)المائدة / ٤٥ .

(٢)ينظر السبعة/ ٢٤٤ ، والكشف ١ / ٤٠٩ – ٤١٠ ، وإعراب النحاس ٢٢/٢ ، والبحر المحيط ٣ / ٤٩٤ . ٤٩٥ ، وحاشية الجمل ٣٩٣/١ – ٣٩٤.

(٣)آل عمران / ١٧١ .

(٤)ينظر الكشف ١ / ٣٦٤ ، وشرح الهداية ١ / ٢٣٨ ، والكشاف ٢٤٤/١ ، والبحر المحيط ١١٦/٣ ، مدخل القراءات القرآنية فى الإعجاز البلاغي / ١٠٠.

لولا أن هدانا الله" [١]

قرأ ابن عامر وحده بحذف الواو من قوله تعالى " وما كنا" وقرأ الباقون بإثباتها .[٢]

أما قراءة ابن عامر "ما كنا" بحذف الواو فعلى أنه استغنى عن حرف العطف لاتصال الجملة الثانية بالأولى فى المعنى [٣]، وعلى هذا تكون جملة "ما كنا.." موضحة ومبينة للجملة السابقة [٤]، وقيل بأن جملة "ما كنا" على ما سيأتى من احتمالى الاستئناف والحال على قراءة إثبات الواو . [٥]

وذكر أبو منصور الأزهري : أن إخراج الواو وإدخالها لا يغير المعنى فى مثل هذا الموضع ، المعنى : أنهم قالوا : الحمد لله الذى هدانا من غير أن كنا نهتدي لما هدانا له ، ومن حذف الواو أراد : يا رب ما كنا لنهتدي لهذا لولا هدى الله إيانا . [٦]

وأما قراءة الباقين "وما كنا" بإثبات الواو فعلى العطف لها على جملة "هدانا الله" ، وفيه تأكيد ارتباط الجملة الثانية بالأولى [٧]

وقيل بأن الواو للحال ، والجملة بعدها فى موضع نصب حال من الضمير فى "هدانا" والمعنى : وما كان يستقيم لنا أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه [٨]، وقيل بأن الواو واو الاستئناف والجملة بعدها مستأنفة. [٩]

---

(١)الأعراف / ٤٣ .
(٢)السبعة / ٢٨٠ ، والتجريد / ٣٣٥ ، وتقريب النشر / ١١٤ .
(٣)الكشف ١ / ٤٦٤ .
(٤)البحر المحيط ٤ / ٢٩٩ .
(٥)الكشاف ٢ / ١٠٥ .
(٦)معانى القراءات / ١٨٠ .
(٧)الكشف ١ / ٤٦٤ .
(٨)الكشاف ١٠٥/٢ .
(٩)الفتوحات الإلهية ١٤٣/٢ .

ومع اختلاف القراءتين فى التركيب واتفاقهما فى المعنى يأتي تساؤلا عن بعض الملاحظات التوجيهية لقراءة ابن عامر :

ذهب أبو على الفارسي أن : وجه الاستغناء عن حرف العطف فى قوله "وما كنا لنهتدي" أن الجملة ملتبسة بما قبلها ، فأغنى التباسها به عن حرف العطف ... ومثل ذلك قوله "سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم" (١) ، فاستغنى عن الحرف العاطف بالتباس إحدى الجملتين بالأخرى (٢) ويردد المهدوي كلام أبى على السابق مستلهما فحوى تحليله وشواهده . (٣)

والتساؤل هنا ما هو وجه الالتباس الواقع بين الجملتين . على حد تعبير أبى على مع إسقاط الواو ؟ والإجابة: أن جملة "وما كنا لنهتدي " فى محل نصب حال – فيجوز لغة الاستغناء عن ربطها بالواو والضمير معاً بربطها بالضمير فقط ، إلا أن مكيا أحس بالفارق المعنوي بينهما ، فطفق يختار وجه قراءة الجمهور بإثبات الواو ، لأن فيه تأكيد ارتباط الجملة الثانية بالأولى . (٤)

ويفرق الإمام عبد القاهر بين إثبات الواو وحذفها فى جملة الحال حين رأى : أن كل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من الواو ، فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع فى صدرها فضممته إلى الفعل الأول فى إثبات واحد ، وكل جملة جاءت حالاً ثم اقتضت الواو ، فذاك لأنك مستأنف بها خبراً ، وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول فى ا لإثبات ...

وبعد تحليل العلماء وتوصيف علماء البلاغة يسهل تلمس جهة الربط فى قراءة حذف الواو هنا فى جملة " وما كنا لنهتدي" وكيف أنها جاءت

(١)الكهف / ٢٢ .
(٢)الحجة ٢ / ٢٣٩ .
(٣)شرح الهداية ٢ / ٣٠٠ ، ويراجع الكشف ١ / ٤٦٤ ، والمحرر الوجيز ٦٢/٧ ،وإبراز المعانى/ ٤٧٤ .
(٤)الكشف ١ / ٤٦٤ .

موضحة أو مفسرة أو بيانية للجملة قبلها. [١]، وذلك لوقوعها منها موقع المفرد سواء حمل هذا الموقع على الحال أم على البدل أو على التوكيد ، فكل هذه الملاحظات الأسلوبية تنبئ . بلا شك . عن تلك الأغراض الدلالية فى التحليل اللغوي ، ولا يبعد مع ذلك إجراؤها على الاستئناف البياني قد يؤكده الوقف الحسن [٢] على موضع "لهذا" فتكون جملة " ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله" بمثابة جواب عن سؤال مقدر قد تثيره الجملة قبلها عن سبب هذا ووقوع الجملة هذا الموقع أو ذاك يجعلها ترتبط بما قبلها برباط معنوي يجعلها فى غنية عن الربط الظاهر بالواو ، إذ لا يعطف البيان على المبين كما لا يعطف الجواب على السؤال .ومما تجب الإشارة إليه هنا أن :

العلماء اعتمدوا في توجيهاتهم على العلاقات اللغوية بمختلف أنواعها، بل بات من المبادئ الملزمة فى علم اللغة الحديث أن يحلل الكلام لا على أساس الألفاظ التى يتألف منها الكلام ، وإنما باعتبار ما بين هذه الألفاظ من علاقات وما تكونه بفضل تلك العلاقات من وحدات قائمة بذاتها، لا تحتاج إلى مايتممها ، ولا شك أن دراسة النحو على هذه الطريقة تغير ملامحه وتجعله أكثر نجاعة ، لتفهم اللغة واستنكاه أسرارها وتقدير إمكانياتها حق قدرها. [٣] إذهي بنية ذات نظام صارم تتشابك فيه العناصر المعجمية والصرفية والنحوية والدلالية مما يعين الإنسان على استخدام لغته والاحتفاظ بها على نحو أقل اجتهادًا ، لذا صح القول أن معنى الجملة لا يعتمد فقط على عناصرها الجزئية ، ولكن أيضاً على اتحاد هذه العناصر. [٤] وهذا ما أكدته هذه الدراسة لنماذج أتت عليها بلاغة الكلمة، والجملة ،والجمل علها

(١)الكشاف ٢ / ١٠٥ ، ومفاتيح الغيب ١٤ / ٨٦ ، والبحر المحيط ٤ / ٢٩٩ ، وةالدر المصون ٢٧٢/٣ .

(٢)منار الهدى / ١٤٥ .

(٣)نظرات التراث اللغوي والعربي / ٣١

(٤)قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين / ٣٩٧ .

تفتح أفاقا أرحب في دراسة دلالة الأسلوب القرأني وبيان وجوه الإعجازفيه من خلال القراءات القرآنية .

وكان من **نتائجها** :-

- أن أسلوب القرآن الكريم يحمل أوجها عديدة للدلالة علي مقاصده ومراميه.
- وأن تعدد القراءات علي المفردة الواحدة يقوم مقام تعدد الآيات إذ إن كل قراءة بمثابة الأية .
- وأن المعاني قد تختلف باختلاف القراءات تقديما وتأخيرا...
- كما أن للقرآن الكريم أسلوبا خاصا يغاير غيره ،إذ إنه أسلوب فطري ،للغة فطرية ،وعقيدة فطرية ، وما كان فطريا فهو بسيط بساطة الطبيعة، وبالفطرة والبساطة تحلي القرأن وأسلوبه بصفة الإعجاز.
- وأن الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ إذ يصير به ترك الذكر أفصح من الذكر.
- ولكل قراءة دلالتها المعتبرة، والتي تختلف بها عن الأخرى غير أنه لاغني بإحداهما عن الأخري .
- وكذا التكرار من الأساليب ا لشائعة في العربية –عموما –والقرأن الكريم – خصوصا–تثيره غالبا حاجة المتكلم إلي الاهتمام باللفظ المكرر.

كما أنها **توصي** بأهمية دراسة وجوه الإ عجار في مرويات القرآن الكريم المتواترة كل رواية علي حدة باستجلاء أساليبها ودلالاتها واستخراج دررها وهو جانب من جوانب حفظ قراءات القرأن الكريم التي يقوم عليها حفظ القرآن الكريم وليتحقق بذلك الوعد الإلهي المرقوم في قوله عزمن قائل :(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .)الحجر /٩.

هذا وصلي الله وسلم وبارك علي أشرف الخلق ،ولسان الصدق، المنزل عليه الكتاب تبيانا لكل شيئ ، وعلي آله وصحبه أجمعين ، والحمدلله رب العالمين .

أهم المراجع

إبراز المعانى ،لأبى شامة تحقيق ابراهيم عطوة عوض ،ط مصطفي البابي الحلبي

إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، للبنا الدمياطي ،تحقيق د شعبان إسماعيل ط عالم الكتب ط أولي ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م..

الإتقان فى علوم القرآن ،للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط المكتبة العصرية،بيروت١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

أساس البلاغة ، للزمخشرى، تحقيق عبد الرحيم محمود ط دار المعرفة: بيروت ١٩٨٢م

أسرار البلاغة ،الإ مام عبدالقاهر الجرجاني ،تعليق د محمد عبد المنعم خفاجي ط مكتبة الإيمان .

الأسلوب والأداء في في القراءات القرانية .دراسة صوتية تباينية، د خير الدين سيب ،ط دار الكلم الطيب ط أولي ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

الإشارات والتنبيهات فى علم البلاغى للجرجاني .

الإعجاز البياني فى ضوء القراءات المتواترة ،دأحمد محمد الخراط ط مجمع الملك فهد١٤٢٦هـ.

الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د عائشة عبد الرحمن .

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، للرافعى ط دار الكتب العلمية - بيروت١٤٢١هـ.

إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه ،تعليق أبو محمد الأسيوطي ط دار الكتب العلمية ط أولي ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م..

إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ، للعكبري ،ط دار الكتب العلمية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

إيضاح الوقف والابتداء ،لابن الأنباري ،مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

البحر المحيط ،لأبي حيان ط دار الفكر، بيروت ،١٩٨٣.

البرهان فى علوم القرأن ،للزركشي ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط دار التراث ط أولي ١٤١١-١٩٩٠م.
بلاغة الخطاب وعلم النص د/ صلاح فضل ط عالم المعرفة ..
البلاغة العربية تاريخها –مصادرها– مناهجها د. على عشرى زايد ،ط مكتبة الأداب ،ط خامسة١٤٢٧-٢٠٠٦م.
البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري د/ محمد أبو موسى، ط مكتبة وهبة .
بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ،د فاضل السامرائي، ط دار عمار ط خامسة١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
بيان إعجاز القرآن . للخطابى .
تاج العروس من جواهر القاموس ،للزبيدي تحقيق علي شيري ،ط دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ-١٩٩٤م. .
تأويل مشكل القرآن ،لابن قتيبة ، تعليق إبراهيم شمس الدين ،ط دار الكتب العلمية ط أولي ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
التبيان فى المعانى والبيان . للطيبى .
التجريد لابن الفحام، تحقيق د محمد عيد محمد، ط دار مندى١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
التحرير والتنوير ، لابن عاشور، ط دار سحنون للنشر والتوزيع ،تونس.
التعبير القرآني ،د فاضل السامرائي ط جامعة الموصل ١٩٨٩م.
التعبير القرآني د/ فاضل السامرائى .
تغاير الأسلوب في القراءات القرآنية وأثره في اختلاف المعني ،د خير الدين سيب ط دار الغوثاني للدراسات القرآنية دمشق ط أولي ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة عبد الرحمن.
تفسير القران العظيم ، لابن كثير ط دار التراث العربي القاهرة .
تقريب النشر، لابن الجزري ،تحقيق إبراهيم عطوة عوض .

تكوين الخطاب في القران الكريم ...دراسة في علم الاسلوب وتحليل النص، د.طه رضوان ط دار الصحابة للتراث بطنطا ط أولي ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

التوجيه البلاغي في القراءات القرآنية ، عبد الله عليوي البرقيني ، رسالة دكتوراة كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٤٠٦هـ.

التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د أحمد سعد محمد ،ط مكتبة الآداب ،ط ثانية ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءات الإمام عاصم ،د صبري المتولي ،ط دار غريب للطباعة ١٤١٨هـ١٩٨٨م ا.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري طبعات متعددة .

الجامع لحكام القرآن ، للقرطبي ، ط دار الشعب

جدلية معايير الفصاحة بين البلاغيين واللغويين ، رؤية نقدية ، د/ عبد الواحد الشيخ

حجة القراءات ، لأبى زرعة دراسة تحليلية ،د هشام النعيمي ط دار الكتب العلمية ط أولي ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م..

الحجة في علل القراءات السبع ،لأبي علي الفارسي ،تحقيق علي النجدي ناصف وزميليه، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٢هـ-١٩٨٣م .

حول الإعجاز البلاغي للقرآن قضايا ومباحث ،د/ حسن طبل ،ط مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة.

الدر المصون ،للسمين الحلبي تحقيق سبيع حمزة حاكمي ، ط دار القبلة للثقافة الإسلامية١٤٠٨هـ-١٩٨٨.

دراسات فى علم المعانى ، د صبّاح عبيد دراز وزميله ، مطبع الشروق ١٤١٨هـ-١٩٨٨م.

دراسات فى علم المعانى د/ صبّاح عيد دراز . د/ الشحات محمد أبو شبت.

دلائل الإعجاز . لعبد القاهر .

روح المعاني في تفسير القرأن العظيم والسبع المثاني ، للألوسي ط دار إحياء الكتب العلمية .
السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، تحقيق د. شوقي ضيف، ط دار المعارف ط ثانية ١٤٠٠هـ.
شرح الهداية ، للمهدوي تحقيق د حازم سعيد حيدر . .
شروح التلخيص . لسعد الدين التفتا زاني.
علم الدلالة العربي ،د فايز الداية ط دار الفكر دمشق ١٩٨٥م.
علم المعاني فى الموروث البلاغي تأصيل وتقسيم د/ حسن طبل .
القاموس المحيط ،للفيروز آبادي، ط مصطفي الحلبي ط ثانية.
قاموس قواعد البلاغة وأصول النقد والتذوق، مسعد الهوارى ،ط مكتبة الإيمان بالمنصورة.
القرآن والصورة البيانية، د عبد القادر حسين ،ط دارالمنار ط أولي ١٤١٢هـ.
قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين ، د محمود سليمان ياقوت ، ط دار المعارف ،١٩٨٥م.
كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ط دار الكتب العلمية، ط أولي ١٤١٨هـ.
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون التأويلفي وجوه التأويل ، للزمخشري ضبط عبد السلام هارون ،ط دار الكتب الغلمية بيروت نط أولي ١٤١٥هـ–١٩٩٥م
الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكى بن أبى طالب تحقيق د محى الدين رمضان، ط مؤسسة الرسالة، ط خامسة ١٤١٨هـ–١٩٩٧.
لسان العرب ،لابن منظور، ط دار المعارف .
اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ، د عبده الراجحى دار المعرفة الجامعية.
مجاز القرآن ،لأبى عبيدة ،تعليق فؤادسزكين، مكتبة الخانجي .

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وزميله ،ط المجلس الأعلي للشؤن الإسلامية ١٤٢٤هـ..

المدخل لدراسة القرآن الكريم ،د محمد بن محمد أبو شهبة ط مكتبة السنة ط أولي ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

مشكل إعراب القران الكريم ،لمكي ابن أبي طالب ،تحقيق ياسين ا لسواس ،مطبوعات المجمع اللغوي بدمشق.

معانى القراءات ، للأزهري تحقيق أحمد فريد المزيدي ط دار الكتب العلمية بيروت ط أولي ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

معانى القرآن ،لأبي جعفرا لنحاس ،تحقيق د يحي مراد ،ط دار الحديث القاهرة١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

معانى القرآن ،للفراء ،تحقيق أخمد يوسف نجاتي وزميله ،ط دار السرور.

معانى القرآن وإعرابه ، للزجاج تحقيق د عبد الجليل شلبي ،ط دار الحديث بالقاهرة ١٤٢١هـ-٢٠٠٤م.

معاني القران ، للكسائي ،تحقيق د عيسي شحاتة عيسي ط دار القباء ط أولي ١٩٩٨م.

معاني القرآن في التراث العربي ،د منير جمعة ،ط بلنسية ط أولي ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

المعنى الشعري فى التراث النقدي د/ حسن طبل .

المفردات في غريب القرأن ،للأصفهاني تحقيق د محمد سيد كيلاني ط ١٩٦١م..

من أعلام البصرة ،أبو عمرو بن العلاء جهوده في القراءات والنحو ، د زهير غازي زاهد ط جامعة البصرة١٩٨٧.

منار الهدى فى بيان الوقف والابتداء ،للأشموني .

النشر في القراءات العشر، لابن الجزري تصحيح الشيخ /علي محمد الضباع، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

نظام الإرتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د مصطفي حميدة ط لونجمان القاهرة١٩٩٧م.

نظرية الحروف العاملة مبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغيا، د هادي عطية مطر ط عالم الكتب ١٩٨٧م.

نظرية العلاقة أو النظم بين عبد القاهر والنقد العربى د/ محمد أحمد نايل .

الوقف اللازم في القرآن الكريم دراسة دلالية، د محمود زين العابدين محمد، ط مكتبة الفجر الإسلامية المدينة المنورة١٤١٩هـ –١٩٩٨.

الوقف في العربية علي ضوء اللسانيات ،د عبد البديع االنيرباني ،ط دار الغوثاني دمشق ط أولي ١٤٢٨هـ–٢٠٠٨م.